ساندرا سراج
رواية
ماذا لو؟
بينما تركض عكس عقارب الساعة وأركض أنا تجاهها،
سنلتقي حين يفنى الوقت
سادر الكتب

ماذا لو؟

بينما تركض عكس عقارب الساعة

وأركض أنا تجاهها، سنلتقي حين يفنى الوقت

شيئان يحركان روحي: التحديق بالشمس، وفي الموت..
أريد أن أسافر في النجوم وهذا البائس جسدي يعيقني

فينسنت فان جوخ

حتى وإن كان من المستحيل فعل شيء ما، فيجب علينا
معرفة ما هو من المستحيل فعله

ستيفن هوكينج

لعلنا أنا وأنت لسنا على ذلك القدر من الاختلاف في نهاية الأمر، ولكن لا شيء يجمع بيننا في الآن ذاته، رُبما أن كُل ما بيننا انقلب رأسًا على عقب، حتى عقارب ساعتك تدور للخلف وكأنها تهرب مني، رُبما الشيء الوحيد الذي سيجمعنا مُجددًا هو موتنا، رُبما سأراك في عالم البرزخ وأقصّ عليك كيف صارت بي السُّبُل حتى المُلتقى.. إني أشك أحيانًا في حقيقة وجودك، هل كُل ما حدث بيننا حقيقي أم أنني جُننت كما يزعمون، لكنني شعرت بلمستك لجسدي، شعرت وكأنني ملكت العالم يومها، من المؤكد أن هذا الشعور لم يكن سرابًا.. فكُلما شككت بكُل شيء تذكرت ذلك الشعور وتلك النظرة التي اعترتك عندما وجدتني حقيقة من لحمٍ ودمٍ بين يديك.. يا عزيزي المُتمرد الحُر الطليق لقد حاولت قدر استطاعتي تحقيق المُستحيل حتى فعلت، ولكن أظن أن النجاح ليس بتحقيق المستحيل في نهاية الأمر وإنما في استبقائه. وأنا عاجز، مُجرد معتوه يحاول تغيير مسار الكون، ولكن تخيل لو اتحدت قوانا سويًّا؟ رُبما لذلك عجز الزمن أن يجمع بيننا، رُبما تواجدنا معًا هو نهاية العالم، ليكن خرابه إذًا يا صديقي.

ماذا لو كان بإمكانك أن تعيش حياةً أخرى؟!

أو رُبما أكثر من ذلك وأفضل، رُبما في تلك الحياة الأخرى ستقابل فتاة تُغير مفهوم الحياة بالنسبة إليك أو ستسترجع

تلك الفتاة التي خسرتها لقلة نضجك ولم تستطع تخطيها بعد، وإنما تحاول إيجادها في كل فتاةٍ تتعرف عليها، رُبما ستكون نابغة وتحقق أهدافك العملية، رُبما في تلك الحياة الأخرى ستجد كُل من فقدتهم بسبب الموت ما زالوا أحياءً يرزقون.

ماذا لو أنه بطريقةٍ ما يُمكنك أن تباشر حياتك من جديد بكل خبراتك الراهنة دون الحاجة إلى تكرار كُل هرائك السابق لتتعلم منها؟!

رُبما ستكون سعيدًا للغاية.

سعيدًا على عكس ما أنت عليه الآن.

ولكن دعني أسألك من وجهة نظرك التي لا تُهم أحدهم بتاتًا، ولكنني مُجبر على الإصغاء لها لأغراض بحثية بحتة - أرجو ألا تسبب صراحتي أي عوائق نفسية أو تؤثر على إجاباتك-:

هل التعاسة في القدر أم في طريقتنا في تقبُّله؟

لو امتلكت الفرصة كي تنتقل لتلك الحياة الأخرى هل تفعلها أم ستهلع من فكرة السير نحو المجهول وستُفضّل تعاستك الحالية؛ لأنها مألوفة بالنسبة إليك وستخشى السعادة لمُجرد أنها تتطلب منك بعض التضحيات؟

إن كُنت ستخاف هل تظن أنك تستحق السعادة من الأساس؟

على عكس الفلاسفة الذين يظنون أن أعظم إنجازاتنا تأتي بعد اللحظات التي امتلكنا فيها الخوف فأنا أتبع منهج سينيكا(1) حين قال: "إننا نُعاني في الخيال أكثر مما نُعاني في الواقع"، وأرى أننا أسرى مخاوفنا الوهمية التي تتحكم في قراراتنا؛ وبالتالي فإنها تتحكم في مستقبلنا وتغير شاكلته، هل تدرك فكرة أن مستقبلك قد يتغير بأكمله من أجل لحظة جبنت فيها؟!

هل ترى الأمر يستحق؟

قطعًا! لأنه لا يفوز بالملذات إلا كُل مغامر.

ولكنك ستتعفن في قاع البؤس أنت وخوفك الفطري الذي لم تستطع التحرر منه.

شمس

***

ما قبل كل شيء..

إن وجدت تلك المذكرات، فهذا يعني أنني مُت أو إنك تحاول سرقة مُختبري، وهذا مُثير للشفقة أكثر من موتي، لأنك لن تجد هُنا سوى بعض الفئران والكثير من المواد التي قد تودي بحياتك، أما في حال قد نجحت تجربتي فمن الأرجح أنني في عالمٍ آخر الآن أو أن ذرات جسدي قد ذابت وتلاشت في طريق الوصول، على كُل حال أنا أعرف أن فضول النفس البشرية يجعلها ترغب في معرفة المجهول.. وإن كلفها ذلك حياتها؛ لذلك دعني أقصّ عليك الأمر من البداية..

أنا **شمس**، تم تسميتي بهذا الاسم تيمنًا بشمس الدين التبريزي(2) .. فقد أحبّته أمي كثيرًا، لدرجة أنني في بعض الأحيان كُنت أظنها تُحبني لأنني أحمل اسمه، فقط لا غير، كما أنها أرادت أن أكون في فطنته وحكمته، لكنني خيّبت آمالها، وكبرت لأكفر بكُل ما آمن به شمس الدين، إنه يؤمن بالروح أما أنا فأؤمن بالمادة، يؤمن بالخير والجمال في النفس أما أنا فأرى السيئ منها، ولكن إحقاقًا للحق لقد كُنت أتبع خطاه لفترةٍ من الزمن، كُنت أؤمن بنظرياته حتى أنشأت نظرياتي الخاصة التي ليس من الضرورة أن تكون صحيحة تمامًا، لكنها على الأقل منطقية للحد الذي يجعل محاولتي لا

تبدو عبثيّة، يقول شمس الدين: "ما تبحث عنه يبحث عنك".

إن هذا هُراء في رأيي.

لقد أفنيت شبابي أحاول الوصول للأشياء لكنها مثل الزئبق، كُلما اقتربت بطريقةٍ ما تمكنت من الإفلات من بين يدي، حتى إن قواي العقلية نفسها - كما يزعم البعض - هربت مني أيضًا.

مخبول هذا العالم، يتهم كُل مُختلف عن القطيع فيه بالجنون.. ولكن ألم تتهم الشعوب جميع علمائها بالجنون منذ بدء الخليقة؟! ألم يتهم الجميع فيثاغورس بالخبال حين حاول إثبات أن الأرض كروية وليست مُسطحة؟! ونيكولاوس كوبرنيكوس الذي أثبت أن الأرض مُجرد كوكب في المجموعة الشمسية على عكس أرسطو الذي ادعى أن كوكب الأرض ثابت وتدور حوله باقي الكواكب حتى الشمس نفسها؟!.. يجد الناس صعوبة في تقبل كل جديد، يشعرون بالتهديد وكأن كُل ما آمنوا به في حياتهم سيسقط فوق رأسهم ويودي بمعتقداتهم ويقضي على تماسكهم؛ لأن البشر بتلك الهشاشة، لا يستطيعون تحمل الحقيقة أبدًا، والآن وبالنسبة لهم أنا مُجرد مخبول آخر في هذا العالم.

في المدرسة كان الأطفال يخافونني؛ لأنني كُنت نابغة في الرياضيات والفيزياء، كانوا يظنون أنني ممسوس، بينما

لم يؤمن بي سوى مدرس الرياضيات "ماجد حقي"، والذي تخرج حديثًا من كلية الهندسة وأراد أن يجد عملًا لنفسه حتى ينتهي من الماجستير؛ فعمل مدرسًا لمادة الرياضيات في مدرستي، أتساءل أحيانًا: هل كان يؤمن بقدراتي حقًّا أم أنه أراد خلق تحدٍّ ممتع في أيامه المملة بالعمل، كُنت في الحادية عشرة من عُمري حين أعطاني نظرية فيثاغورس وأرادني أن أحل المعادلة وأن أحضرها له في اليوم التالي.. فلم أنم يومها من الحماس، وسقطت في هاوية الأرقام، تمنيت حينها لو أن لديّ آلة حاسبة، إذ كانت ستوفر عليّ الكثير من الجهد، لكنني لم أكن من الأطفال سعداء الحظ الذين يُمكنهم الحصول على تلك الأشياء.. أعطاني الأستاذ ماجد تلك المعادلة وأخبرني فقط أن مجموع مُربعي الضلعين القائمَين يساوي مربع الوَتَر، دون أن يحاول شرح المزيد حتى لا يسهلها عليّ، ولهذا علمت أنه يجب أن أثبت عبقريتي، فرسمت المثلث وكتبت المعادلة والأرقام، لكن حلها لم يستغرق معي أكثر من عشر دقائق، لدرجة أنني شككتُ في إجابتي.. إذ كان يبدو أنه يتحداني حين أعطاني تلك النظرية، فكيف أخبره أن الإجابة هي ٢٥ بتلك السهولة، ظللت أفكر أنه من المؤكد أن هُنالك خدعة، هناك شيء أكثر عمقًا.. ولكن عبثًا كانت محاولاتي، فقد كنت أحصل على رقم ٢٥ في كُل مرة.

غفوت بعدها رغمًا عني عند سماع أذان الفجر، لأستيقظ على يد أمي الحنونة وهي تتحسس شعري وتقول لي:

- ماذا كنت تفعل يا صغيري، ما كل ذلك الورق؟!

لأنهض دون أن أستفيق بعدُ وأنا أقصّ عليها ما حدث مع أستاذي مدرس الرياضيات لتقترب وتضمني إليها:

- آه يا صغيري، لا تحزن، سأذهب إليه بنفسي وأوبخه.. كيف له أن يتعب عقلك الصغير هكذا؟!

- لكنني لستُ حزينًا، تلك المعادلة لم تستغرق مني سوى بضع دقائق.. ما أنهكني حقًّا هو محاولة إثبات أنها صحيحة.

ومن هنا كانت البداية، وكأن تلك المعادلة بمثابة رسالة لنفسي مستقبلًا، رسالة بأن اكتشافي الحالي لن يأخذ مني جهدًا وإنما كُل ما سيمزقني هو احتمالات خطئه، رسالة بأنني لن أخاف من التجربة لكنني سأرتعب من الفشل، سأقع في هاوية عبء الإثبات.. رُبما أنه ليس هناك حقيقة مطلقة في نهاية المطاف، ويُمكن دائمًا أن ينقلب السحر على الساحر، وهذه هي متعة الاكتشاف، أن تثبت خطأ كُل من سبقوك حتى يأتي عالم آخر ويثبت خطأك، وهكذا تدور الحلقة إلى ما لا نهاية.

ذهبت يومها وحين جاء موعد الحصة الثالثة ألا وهي

حصة الرياضيات، أخرجت كُل الورق الذي يثبت كل محاولاتي وحين رأيت أستاذ ماجد شعرت بالدم يغلي في جسدي وعروقي ودقات قلبي تتسارع ويدي ترتعش قليلًا.. فنظر لي وهو يقول أمام الفصل بأكمله:

- هل أنهيت حل المعادلة أم أنك فشلت؟

لأومئ برأسي في صمت دون أن أعي لماذا تخونني الحروف في أكثر وقت أكون بحاجةٍ إليها، ثم تحركت تجاه مكتبه جوار السبورة لأعطيه الورق قبل أن أتمكن من الرد أخيرًا:

- لقد انتهيت منها سريعًا لدرجة أنني خشيت أن أكون قد تسرعت في حلها، لذا حاولت بأكثر من خمس طرق لكنني كنت أتوصل إلى الحل نفسه في كل مرة.

نظر لي "ماجد" بفخرٍ واضح وهو يقول:

- إجابة صحيحة، وجميع الطرق التي حاولت بها صحيحة.. أنا مندهش! تمنى أي شيء أيها العبقري الصغير، وسأحضره لك.

- آلة حاسبة.

- متأكد أنك لا تريد شيئًا آخر؟

- أنا أريد أن أحافظ على جهدي العقلي كي أتعلم المزيد من المعادلات والنظريات دون أن أستنزفه في ضرب وجمع الأرقام، في حين أنه يُمكنني فعل ذلك بطريقة أسرع.

ابتسم لي وهو يخرج الآلة الخاصة به ويضعها أمامي:

- عدني أنك لن تغش بها في الامتحانات فحسب.

- وأنت عدني أنك ستعطيني الكثير من النظريات المتقدمة، إنني أشعر بالملل الشديد من الدروس التقليدية.

ضحك وهو يخبرني أنه قد يستغل قدراتي في مساعدته في الماجستير، فشعرت بفخرٍ عظيم، ولكن كُلما زاد فخري كُلما زادت وحدتي.. فالأطفال لا يريدون قضاء الكثير من الوقت مع طفلٍ مثلي يشعرهم بمحدودية ذكائهم، ولهذا صرت منبوذًا بينهم، وكُلما كبرت كُلما اتسعت الفجوة بيني وبين البشر.. عدا واحدة فقط، تلك الصغيرة.. "إيما"، والتي سألتها يومًا عن معنى اسمها فقالت لي "الكون"، ولطالما وددتُ بشدة أن أكون "شمس" كونها، أن أطوف بمحرابها وحولها لكنها كانت محبوبة الفصل بأكمله، جميعنا نُحب إيما.. ولكن إيما تحب من؟!

أتذكر يومًا كُنا في الساحة، الأولاد يلعبون الكرة وهم يظنون أنفسهم رجالًا أشداء والفتيات يتولين أمر التشجيع

والصياح كعارضات أزياء، دون أن يملك كل منهم صورة شبه حقيقية عن صغر أعمارهم وأجسادهم الضئيلة التي تبدو رائعة في خيالهم البِكر، لكنني كنت مثلهم إلى حدٍّ ما، وكُنت أتأمل إيما بالطبع، بينما تشجع وتصرخ تجاه ولد من الأولاد دون أن تنطق باسمه، ورغم ذلك فقد شعرت بتلك الغيرة الحمقاء تؤلم أحشائي، يومها، وفي تلك اللحظة جلس بجانبي أستاذ ماجد وفي يده فنجان قهوة رائحته كانت كافية أن تذهب النوم من عيني لثلاثة أيام مُتتالية ودون أن ينظر لي قال وكأنه يحدث نفسه:

- عزيزي شمس، لا تتعلق بأي شيء إذا أردت ألا تنطفئ، لا تتعلق بشيء مهما بدا لك وكأنه خلاصك من الوحدة الموحشة، واعلم أنه لا يمكن لشيء أن ينال منك طالما أنك لم تسمح له بالغوص في أعماقك، تذكر دائمًا أن من يتوغل لصميم روحك وحده من يملك القدرة على قتلك.

- ماذا لو لم يقتلني؟

- لا، لأنك ستنبهر من قدرة من تحب على خذلانك، وإن كنت محظوظًا ربما ستنجو بندبةٍ عميقة وسهمًا بمنتصف روحك، وحينها سترتعب من أن يقترب أحدهم كي ينقذك منه حتى، ستعتاد الألم والخذلان وسترتعب من الحب وسيتشوش مفهوم الأمان لديك، كُن حذرًا دومًا بدلًا من أن

تكون أحمق يركض بسهمٍ بمنتصف روحه مثلي.

نهض الأستاذ ماجد وتركني بين وهم الألم وحقيقة الحب، وأخذتني الحيرة وأنا أنظر لإيما التي لا تبدو كفتاةٍ قد تزرع خنجرًا بمنتصف روحك وترحل.. أم أنها كذلك؟ في ذلك السن رغم ذكائي الذي يسبق سني بالكثير كانت الإجابة على تساؤلات كتلك شديدة التعقيد.

هذا هو اللغز الذي لا يعرفه أحد، لكني تداركت الأمر سريعًا وتذكرت حقيقة أنه حتى وإن أحبت إيما أحدهم، بالطبع لن يكون أنا، فأنا معتوه المدرسة على الرغم من أن لقبي هو "العبقري الصغير"، لكنني أعلم كيف يتحدث عني الناس من وراء ظهري، فهذا لا يتطلب ذكاء خارقًا وإنما يتطلب حاسة سمع قوية فحسب، ورغم أن الأمر أزعجني في بدايته إلا أنني اعتدته بعد ذلك، بل وشعرت براحة كبيرة تجاهه، إذ يُمكنني الآن فعل أو قول أي شيء دون أن أبالي.. فأنا مخبول في نظرهم في كل الأحوال، يُمكنني أن أخبر أحدهم أنه سيموت في غصون دقائق دون أي شعور بعدم الارتياح، هذا هو الواقع وهو يستحق أن يعرفه.. والحقيقة أنني لا أعلم سبب خوف البشر من مواجهة واقعهم وتفضيل الوهم بدلًا منه، ها هم بعد ملايين الأعوام على الأرض ما زالوا عاجزين عن تقبل حقيقة الموت تمامًا، يعلمون أنه قادم

لا محالة لكنهم يغمون أعينهم عنه، وحين يأتي تصيبهم الصدمة ويقعون في حالة من الفزع والاكتئاب.. أشعر أحيانًا وكأن البشر أعدادٌ زائدة على هذا الكوكب، كائنات شكّاءة بكّاءة!! ولا يكفي دراميتهم اللانهائية بل يدمرون الكوكب بأنانية مُبالغ بها أيضًا.

رُبما أنني لا أحب الناس لامتناعي عن التفاعل معهم وعجزي عن رؤيتهم جيدًا، إني أراهم مثلما أرى صورة بإطارٍ من مسافة تُمكنني من رؤية كل التفاصيل دون الانسياق خلف مشاعر غير موجودة.

حين أنهيت الثانوية العامة وحان وقت كتابة رغبات الكليات كانت رغبتي الأولى هي كلية العلوم؛ مما أثار غضب العائلة بأكملها، إذ إنه كان يُمكنني الالتحاق بكلية الطب بالطبع، لكن النفس البشرية وأعضاء الجسد لم تكن من اهتماماتي، فلماذا قد أعالج شخصًا أعلم أن الكوكب سيكون أفضل من دونه؟!

لماذا أضيّع من عمري أعوامًا لمساعدة بعضٍ من المتنمرين الجُبناء الحمقى الذين يظنون أن الله زرع بهم ما لم يزرعه بآدم من علمٍ وحِكمة؟!.. وإن أردتم الحقيقة لم أكن أتعجب من ترديد البعض نظريات التخلص من بعض البشر لتخفيف العبء على كوكبنا، وصرت أتساءل لماذا قد ألتحق بكلية لا

أرغب فيها من البداية؟! لهذا قررت أنني لن أسير على الدرب نفسه.. والتحقت بالفعل بكلية العلوم بعدما كُنت سبب خيبة أمل العائلة.. لكني لم أبالِ بذلك.. وكعادتي كُنت العبقري الذي تتعرف عليه الفتيات ليأخذن المحاضرات، رغم أنني لم أكن باللطف الكافي لأكون لعبتهم الصغيرة، كما لم يكن لديّ من الوقت ما يسمح بذلك من الأساس، وقد كنت أشعر بالوحدة في كثيرٍ من الأحيان بالطبع، لكنني كُنت أتغلب على الأمر بقراءة الكتب العلمية، وكُلما شعر قلبي بالفراغ ملأت عقلي حتى يرتوي من شغفي بالمعرفة.. لم يكن لديّ صديق سوى "سليمان".. كان صديقي من المرحلة الإعدادية وشاركني مراحل نضجي، إضافة إلى شبح "إيما" الذي ظل يطاردني حتى أصبحت هي مفهومي عن الحُب الذي لم أحصل عليه، ولن أحاول أن أفعل، فأنا لا أملك رفاهية الوقت.. ولو كانت لديّ الإمكانية أن أجعل اليوم ثلاثين ساعة لأعمل الأربع وعشرين الآخرين لفعلت حتمًا، إن حياةً واحدة لا تكفي لتتعرف على الكون وأسراره، فالنوم يستحوذ على ٤٠٪ من عُمر الإنسان، فتخيل أنك تهدر ٢٦ عامًا من حياتك نائمًا والـ ٦٠٪ الأخرى في تناول الطعام والشرب والنجاح والدراسة والعمل والحب والتأمل.. هذا هراء، كيف يُمكن أن يضيع الإنسان ما تبقى من وقته في الحفاظ على علاقات اجتماعية لا فائدة منها إذًا؟! مسكين هذا الإنسان المدفوع

بكم من العاطفة والغرائز التي تجبره أن يتحرك في قضيبٍ حديدي له اتجاه واحد، فمهما اختلفت القطارات والبلاد.. تتشابه الطرق بشكلٍ أو بآخر.

ذات يوم بينما كُنت أحمل فنجانًا من القهوة الذي يذكرني بفنجان ماجد حقي، سمعت صوتًا من خلفي يهمس:

- شمس؟

نظرت لأجدها إيما، لكنها لم تعد تلك الطفلة التي بخيالي، وإنما أصبحت امرأة رائعة الجمال، لم تتغير ملامحها كثيرًا فما زالت تشبه نسختها الصغيرة لدرجة أنه لم يكن من الصعب تمييزها، لكن جسدها ولون شعرها تبدلا تمامًا؛ فقد غيرت شعرها من الأشقر إلى البني الفاتح، أما أنفها فما زال صغيرًا وشفتيها كذلك.. تأملتها للحظاتٍ وددتُ خلالها أن أملأ قلبي بها وأن أستجمع شتات نفسي بعدما اختل توازني إلى أن وجدت الحروف طريقها لفمي مُجددًا، فقلت:

- إيما، أهذه أنتِ؟!

نظرت إليّ وابتسمت بشدة فقلت متابعًا:

- لم يترك الزمن تجاعيده على وجهك ولكنني مُتيقن أنه ترك الكثير من الندوب بقلبك.

ضحكت وهي تقول:

- يا إلهي، لم تتغير أبدًا يا شمس، ولماذا تظن ذلك؟!

- لا ينجو المرء بسهولة من القدر، لو نجا بياض وجهك لن ينجو بياض قلبك.

- فهمت، هذه هي طريقتك إذًا في إخباري أنني ما زلتُ جميلة.

قالتها وهي تضحك فقلت:

- رُبما.

- صحيح إذًا، أنت لم ولن تتغير أبدًا.. لطالما كُنت صريحًا صراحة الأطفال، ويبدو أن العالم لم يغير بداخلك كثيرًا.

- لم أسمح له بالإبحار داخلي، كُنت دائم الحركة حتى عجز عن إيجاد مستقر.

- وهل يغيرنا العالم فقط لأنه استطاع أن يجد الفرصة لذلك؟، على العكس إنه يغيرنا رغمًا عنا وليس بإرادتنا، ينتزع منا السكينة والسلام ويزرع بنا الخوف والصراعات التي ولو نجوت ظاهريًا منها ستجد نفسك ممزقًا من الداخل.. ثم يتركك تائهًا في ذاكرتك تبحث عن ذكرى إنسانٍ كُنت عليه.

فكرتُ قليلًا ثم تابعتُ:

- أختلف معكِ فالإنسان مرآة عقله، يرى بداخله ما يُريد أن يرى.. وعليك أن تجدي مركز النور في أحلك الأوقات، فنحن أبطال حتى في ذاكرتنا الدميمة؛ لأننا نتذكر ما مررنا به ونتذكر كيف شعرنا، وأننا نجونا على الرغم من ذلك.

ابتسمت إيما، أظن أنها لم تبتسم فحسب بل حفرت ابتسامتها بداخلي نفقًا تعبره وحدها لمركز الشريان التاجي، ثم تخلع عنه تاجه وتعلن نفسها ملكة البلاد التي احتلت الشريان الرئيسي وكل الشرايين المجاورة فتصبح الحياة هناك بكلمةٍ منها فحسب.

- شمس، سأراك مُجددًا.

- إن كان هذا سؤالًا فالإجابة هي أتمنى، ولو كانت جملة خبرية فسأنتظرك دائمًا.

لم أكن أحمق كي أنتظرها دون جدوى، وإنما كُنت أحاول أن أكتفي بوهم امتلاك موعدٍ خفي معها، فحتى الوهم كان يكفيني منها.

انغمرت في حُب المعرفة والعلوم، تحديدًا الفيزياء فقد تخصصت في فيزياء الأرض والكون.. حتى أصبح تأمل خلق الله وإبداعه عبادة أتقرب بها إليه.. لقد أصبحت كما تدعي أمي "مندوه بالفيزياء"، يُمكنني تصور الفيزياء كفتاةٍ في

غاية الجمال وتناديني "شمس" بنبرة حنونة تجذب عقلي قبل قلبي فلا يسعني سوى اتباعها كالمجذوب حتى آخر العُمر، نجحت في الكلية بامتياز ثم عُينت مُعيدًا في كلية العلوم في بادئ الأمر قبل أن أصبح "دكتورًا" كما أرادت أمي، فعادت العائلة تفتخر بالدكتور شمس من جديد.. يا لسخافة البشر، يعادونك عندما تقرر أن تتبع شغفك وعندما تنجح يصفقون لك بحرارة وكأنهم كانوا يزرعون طريقك بالورود لا الأشواك، ولكنني لم أكن أملك الوقت الكافي لأبالي بكل ذلك. فقد تغيرت حياتي واهتماماتي بالكامل عند سماعي عن "الثقب الدودي"(3) ذلك الثقب الذي سيشكل لي هوس الحاضر والمستقبل، الهوس الذي سيغير حياتي للأبد. وذلك منذ بدأت في معرفة المزيد عنه بمؤتمر بألمانيا، منذ ذلك الحين وأنا أفكر في حقيقة أنه لا يوجد دُخان بلا نار، فاحتمالية وجوده هي دليل لم يتم التوصل له بعدُ بالنسبة لي؛ لأن الاحتمالات ما هي إلا بداية طريق اليقين.. ولهذا فقد عكفتُ بالفعل على دراسة نظريات الثقب الأسود(4) ونظريات الثقب الدودي منذ بداية التطرق إليها ثم خلقت منهم نظرية مُحايدة شديدة الصعوبة، لكنها ليست مُستحيلة كما يزعمون، فهم إما جبناء يخشون التجربة أو أنني أحمق للغاية لا أعلم عواقبها.

كُل ما احتل عقلي هو صوتٌ خافت أصبح هو كل ما أسمع، صوت يقول: "هل يُمكنك أن تتخيل نفسك في حياةٍ أخرى، ماذا سيكون اسمك، كيف ستكون حياتك، قناعاتك، مخاوفك.. هل يُمكن أن تتخيلك لو كُنت أنت لكنك لست أنت بشكلٍ كُلي"، هل يُمكننا التواصل مع ذواتنا من العوالم الموازية، يوجد احتمالية لذلك لكنها غير مثبتة بعدُ، ولكن فلنفترض أنه يُمكن أن يتواصل عقلك مع مثيلك من العالم الموازي وأن تتشاركوا المعلومات والخبرات سويًّا.. دعني أخبرك باختصارٍ شديدٍ عن الثقب الدودي، هذا الثقب هو دودة تخيلية لا وجود لها - بعد - داخل الثقب الأسود، لم يستطع أن يرصدها أحدهم بالطبع؛ إذ إن الضوء ذاته لا يُمكنه الصمود داخل الثقب الأسود من قوة الجاذبية، ولكن لو افترضنا حقيقة وجودها فهي تُعرف باسم "جسر آينشتاين- روزين" وهو جسر افتراضي من الزمكان، يسمح للمُسافر أن يخرج إلى كون آخر أو زمن آخر.

الأمر شديد التعقيد كما أنه محفوف بالمخاطر؛ إذ إنه لا يُمكن لشيء الصمود بداخل الثقب الأسود، إضافة إلى أن الثقب الدودي سريع الانهيار.. فإن استطعت الصمود في جاذبية الثقب الأسود - وهو افتراض شديد الصعوبة - دون أن ينفجر جسدك، لن تستطيع اللحاق بالثقب الدودي.. لأنه يجب خلق مادة تساعد على الصمود لوقتٍ أطول ولمعرفة

فعالية المادة من عدمها يجب رصد الأمر داخل الثقوب السوداء، وهو ما لم يستطع أحدهم فعله حتى الآن.. ولكن لحسن الحظ أنه يوجد الكثيرون من الحمقى أمثالي الذين قد يُلقون بأرواحهم في التهلكة من أجل المعرفة، لكن من سبقوني لم يعودوا من تجربتهم من الأساس كي يقصّوا علينا ما حدث، أما أنا فأنظر إلى نظرية وانغ التي تعتمد بشكل أساسي على "الأوتار"، وحقيقة أنه إذا انكسرت إحدى هذه الأوتار فيمكنها إنشاء ثقب دودي قابل للاجتياز، حيث يقول وانغ: "إنه يحتوي على طاقة وعندما تنكسر تصبح تلك الطاقة ثقبين أسودين في كل طرف من السلسلة".

هي دائرة مُغلقة إذًا لكنها ليست مُستحيلة، حيث يُمكن إضافة مادة للمعادلة لكسر القيود والصِعاب.. أرى أنه يجب علينا دائمًا أن نفكر في أبسط الأشياء لنحل أصعب المشكلات، لطالما كانت السلاسة هي بداية حل المعضلات العلمية، إن الموضوع ساخر وحزين للغاية.. لقد ضيّع علماء عمرهم من أجل حل معادلة يُمكن كسرها بإضافة مادة قد اكتشفها عالم آخر على محض الصدفة.

قضيت عمري في الكثير من المعادلات والكثير من التجارب الفاشلة وأعوام طويلة بقسطٍ ضئيل من النوم والكثير من التبغ ونوبات الانهيار الصامتة.. لأن التجارب

الفيزيائية ليست هي الهدف من تلك المذكرات.. فأنا لا أحتاج لها إلى تذكر ما فعلته، ولكن هل يُمكن أن تتخيل أن ما حدث بعد تلك التجربة المُستحيلة علميًّا هو أهم بالنسبة لي من خوضها، أنا الذي لم يهتم يومًا سوى بالأرقام.. أصبحت هي الوسيلة لا الغاية!

بعد تعب وسهر طويلين ومعاناة لا يمكن اختزالها في سطور استطعت أن أخترع بذلة يُمكنها إنقاذ ذرات جسد المُسافر من الانفجار، إذ إنه سيسافر بسرعة أعلى من سرعة الضوء ومادة يُمكن استخدامها في حال تم غلق الثقب الدودي حتى لا أقضي ما تبقى من حياتي هائمًا في العدم، ولم يبقَ أمامي سوى التجربة للتأكد من دقة كل شيء..

قبل التجربة تركت مع سليمان تفاصيل طريقة صنعهم في حال لم أعد، وذلك كي يتمكن العلماء من بعدي البدء من حيث توقفت، كما تركت في تلك المذكرات وهمًا لم يكتمل مع أيما، وهم ظننتها عليه، ووهم ظننتنا سنكونه، لكني ضعت بينهما.

خلال أعوام اختراعي للبذلة وللمواد بالطبع كان يجب تجربتهم عمليًّا، وعلى مر الأعوام وبعد الآلاف من المحاولات الفاشلة تمكنت أخيرًا من إنشاء ثقب أسود تناظري مزروع في مختبري، إن الأمر أكثر بساطة مما يبدو عليه، لكنه

يتطلب درجة حرارة قريبة من الصفر المُطلق وأجهزة ليزر قوية، وذلك هو أصعب جزء بالطبع، فكيف يمكننا إيجاد مكان لخلق ثقب أسود بأقل خسائر؟!

المحاولة رقم ١:

سأنجح بالتأكيد.

المحاولة رقم ٢:

ربما الأمر ليس بتلك السهولة ولكن لا بأس.

المحاولة رقم ٣:

أنا أحاول خرق قوانين الطبيعة لا أن أخبز كعكًا، لن أكون بتلك السذاجة التي تُهيئ لي أن الأمر سينتهي من المحاولة الأولى.. لا بأس.

المحاولة رقم ٤:

لا بأس، مرة أخرى!

المحاولة الخامسة:

سحقًا.

المحاولة العشرين:

لم أستطع تمالك أعصابي، نوبة من الانهيار والصياح

المُستمر "أين الخطأ؟!"

المحاولة الثمانين:

أشعل سيجارًا بجانب شبح حفرتي السوداء التي تأبى أن تتكون، بينما أتمايل على ألحان موسيقى "فيفالدي".

المحاولة ١٢٠٠:

أفشل.. في هدوءٍ متمرس وصبرٍ لا أعلم من أين لي به.

لقد توقفت عن العد، وفي المحاولة التي لا أعرف رقمها:

ما هذا؟! لقد نجحت!

أشعر بدقات قلبي تتلاحق.. وكأنه يحاول الخروج من جسدي ويُلقي بما تبقى منه في تلك الحفرة ليتيقن أنني نجحت حقًّا.. نجحت!! لقد حققت ما يحاول العلماء منذ آلاف الأعوام أن يصلوا إليه.

ولكن ماذا الآن؟

أتدري تلك اللحظة التي تسعى فيها إلى تحقيق المُستحيل حتى تفعلها حقًّا، ثم تدرك أنك وصلت لمُرادك.. الآن ماذا؟ ماذا ستفعل؟ ماذا تُريد بعد؟ كيف ومتى؟.. فتُعيد دائرة الهدف والسعي والوصول من البداية، كم من الأهداف تلزم الفرد لكي يقضي حياته هائمًا دون معرفة سبب وجوده من

الأساس؟

أتذكر اليوم الذي خاف فيه سليمان من أن نجرب حتى المرة التسعين ألفًا قائلًا:

- متى ستتخلى عن تلك التجربة؟

- حين أنجح بها.

- ولكن، ماذا لو كُنت تسعى لهلاكك لا نجاحك يا صديقي؟!

- ألسنا هالكين جميعًا، لأموت في سبيل العلم إذًا يا صديقي.

- ماذا سيستفيد العالم من ثقبٍ أسود مصنَّع؟!

- وماذا سيستفيد العالم من عالمٍ بلا فائدة؟!

- لنعد يا شمس، والدتك بانتظارك.. أنت لامع بما فيه الكفاية، لك نصيب من اسمك وكأنك تضوي في الظلام.. كُل من يهتم بالمجال العلمي يعرفك إما بالاسم أو بحضور إحدى ندواتك أو حتى بالاهتمام والمتابعة، لماذا أنت مهووس بتلك التجربة لهذه الدرجة؟!

- لأنني لا أريد أن أكون شمس يا سليمان، حين سمّتني أمي شمس، كانت تطمح فيّ الحكمة والمعرفة، لكنها غفلت حقيقة أنه لا يوجد سوى شمسٍ واحدة تُنير المجرة بأكملها، تحترق

وحدها، شمس حزينة وحيدة.. وأنا لا أريد أن أكون وحيدًا.. أنا خسرت كُل ما كان يُمكن أن أملكه من أجل العلم، حان الآن وقت امتلاك ما لا أعلم بوجوده حتى.

- هل تظن أنك ستذهب لعالمٍ موازٍ وتجد الطرق ممهدة كي تستمتع بحياةٍ أخرى في عالمٍ آخر؟ ماذا عن نسختك في الجانب الآخر؟ لو وجدت أنك أنت شمس بنفس السِّمات في كل كون من الأكوان الموازية، هذه حرب لا خلاص مِنها.

كان سليمان، صديقي وسري ومأمني.. الرجل الذي يُمكنني أن أرمي بروحي تحت قدميه وأعلم أنه سيكون حريصًا عليها أكثر مني حتى.. لقد كان على حق كعادته، وكُنت لا أبالي كعادتي.. لطالما ظننتُ أن المرء يستطيع أن يحقق الكثير من الأشياء فقط لو امتلك ما يكفي من الشجاعة، شجاعة التجربة، شجاعة قبول الفشل.. التسلق دون يقين أن هناك طريقًا للهبوط مُجددًا، شجاعة أن تلقي بنفسك في التهلكة دون ذرة ندم عند العواقب.

ولكن - إن حق لي القول - كُل ما سيتم كتابته هُنا لا أستطيع حتى تصور ماهيته، أنا الذي لطالما كان لديّ الكثير من النظريات، وعلى أساسها أقرر ماذا سأفعل وأي طريق سأتخذ، ولطالما بدأت من حيث انتهى الآخرون.. فها أنا اليوم أبدأ بنفسي، أنا من سيُكمل الآخرون طريقهم من خلاله،

سأرسم طريق العلم والفيزياء والبشر جميعهم، لن يعود شيءٌ في العالم كما كان أبدًا.

الآن سأترك القلم، وأكف عن التدوين، وأدع التجربة وحدها تروي ما سوف يكون.. ربما أنجح، وربما لا أعود.. ربما وربما.. كل الاحتمالات الآن قائمة.

"شمس العالم الأول"

***

في عالمِ موازٍ

خطاب منها إليه

عزيزي العنيد،

كيف حالك أيها المُزعج؟ تحية مُجهَدة وبعد..

فها أنا أجلس في المكان الذي بدأ فيه كل شيء، رُبما ينتهي فيه كل شيء أيضًا.. أتأمل السماء، كأنها كانت أكثر زرقة معك أو رُبما هكذا شعرت فقط، لقد اعتنقت عاداتك حتى تلك التي كانت تجعلني أستشيط غضبًا، إني أجلس الآن أمام القلم الذي كُنت تشعر تجاهه بالغيرة بطريقةٍ أو بأخرى، كُنت تحاول سرقة وقتي منه، سرقة قلبي وروحي من حبره.. كان يغضبك كوني ضعيفة أمامه، تستشيط غيرةً منه وأنا ألغي مخططاتنا لأن لديّ موعدًا سريًّا مع مجموعة مُسلحة من الورق، لكنك في الوقت ذاته تنبهر وأنا أقص عليك معركتنا سويًّا، وتفخر بي حين أخبرك كيف انتهت بنا السُّبل وما آلت إليه الأمور من صراعات ونزاعات، وكيف أنني وجدت السلام مع شياطيني الداخلية بعدما تدخلت الأحرف.

أذكر حين جئنا لتلك الحديقة في بدايتنا معًا، كانت الساعة الثانية فجرًا.. ولم يكن هناك أحدٌ سوانا وبعض الكلاب الضالة، أذكر كيف ركضت في الحديقة وتمددت على

الحشائش وابتسمت ثم أتيت وخلعت معطفك ووضعته تحت رأسي وتمددت بجانبي، لنرى البدر والنجوم من فوقنا.. ودرجة الحرارة التي أظنها كانت ٩ درجات مئوية حينها، ولكن الصقيع الخارجي لم يستطع المساس بلهيب مشاعري، تأملنا الشروق بعدما أمضينا الليل نتحدث عن النجوم والكون.. أخبرتني يومها عن عائلتك وطفولتك، أخرجت صور عائلتك في المناسبات المُختلفة وضحكنا حتى حل الصباح.. كان الذهاب إلى المنزل وتركك هو من أكثر الأفعال المأساوية التي يحب أن أخوضها كل يومٍ. ولكم تمنيت أن تستطيع الانكماش لتصبح مثل القلم فأضعك في حقيبتي لتقضي ما تبقى من حياتك معي، في حوزتي، لا يفرقنا سوى ساعات النوم.. كم هي لطيفة هذه البدايات، تجعلنا عاجزين أمام الفراق، تجعلنا نخشى النهايات والخسارة، ليس خسارة العلاقة وما آلت إليه بل ما كانت عليه، رُبما لذلك نتشبث في الكثير من العلاقات رغم احتضارها، نتشبث رعبًا من احتمالية ألا نقابل شيئًا بتلك الروعة مُجددًا.. ونتساءل أنه لو تخطينا الحاضر وألم الفراق، من يُمكنه أن يجعلنا نتخطى الماضي وذكرياته الرائعة.. والآن قل لي كيف أتخطى ذلك اليوم الذي بكيت فيه بين ذراعي كالطفل حين أخبرتك أنه يجب أن نفترق، كيف أتخطى عناقك؛ ذلك العناق الذي اكتشفت به حقيقة أنه ليس لقلبي حدود.. إنه حر، حُر تمامًا

من كُل شيء سواك!!.. كم أنا مليئةٌ بِك؟! أنت بدايته ونهايته، شرقه وغربه، سيدور العالم بأكمله ليرتمي كطيرٍ مُهلك بين ضلوعك ليجد السكينة والأمان.. كيف سأتخطى ضحكتك أو حتى صراخك؟! كيف سأتخطى محبتك؟! بل والأسوأ كيف سأتخطى كرهك؟!

أخونك الآن مع غريمك.. قلمي.. أكتب عنك، أنزفك مثلما تكره.. تؤمن دومًا أنني أقتل أبطالي حين أكتب عنهم، وتخشى أن ترى ما يشبهك في كتاباتي، تخشى أن أتخلص منك حين ينتهي الحبر وكأنك مُجرد أنبوب، هل تعلم أنني أيضًا كُنت أخشاك قليلًا؟ لا لا ليس كما تظن، لا أخاف منك لأنك تستطيع أذيتي بأي شكلٍ كان، ولا لأنني أستطيع أذيتك.. بل على النقيض نحن لا نستطيع إيذاء بعضنا البعض.. الحقيقة أني أخاف عليك مني وأخاف منك عليّ، إحقاقًا لديك طابعًا ذكوريًا وإن كان بغيضًا إلا أنه يكون لذيذًا في بعض الأحيان، كأنك تُذكرني من حينٍ لآخر أنني أنثى، تذكرني لماذا وُلدت حواء من ضِلع آدم كُلما اقتربت مني وأنت تضغط على يديّ من الغيرة، بينما أضحك بداخلي؛ لأنك لن تستطيع النوم ليلًا في محاولاتك الساذجة لتحليل كُل شيء، أنت من جعلني أحب كُل ما أمتعض منه في الوقت ذاته، أكره غيرتك ولا أتخيل حياتي دونها، بل وإن أصابني الخوف قليلًا قد أثيرها لأرى أذنيك الحمراء وأسنانك

التي تضغط عليها في غيظٍ وأستمع إلى تعليقاتك اللامُبالية، أكره الحُب وفكرة التملك وأحبك، أكره الاستقرار - أنا - التي لا يُمكنها أن تمكث في مكانٍ أكثر من ساعاتٍ معدودة، كيف لي أن أكمل ما تبقى من حياتي مع ذات الرجل؟! أنا امرأة حُرة لكنني أحب ذكوريتك تلك التي تجعلني أنظر لك في قلق حين يغازلني أحدهم، حين يحادثني رجلٌ تعلم أنه يكنّ لي مشاعر.. هل يُمكنك تخيل مأساوية وضعنا؟، هذا الحُب سيكون نهايتنا وكلانا لا يبالي برمي روحه في التهلكة؛ كلانا لا يملك ذريعة إنقاذ نفسه.. بل على النقيض ربما نتصارع على أن نهلك أسرع من بعضنا البعض، كُلما ظننت أن تلك نهايتنا، أجدك تبعث حبنا مُجددًا من الرماد لنكون هيكلًا أكثر صلابة، هيكلًا لا يحترق بل يتغذى على اللهيب، هيكلًا لا يموت لأنه ليس حيًّا يُرزق من الأساس. إن الأمر أشبه بجنينٍ حي داخل رحمٍ ميت.. ولادتنا مُتعسرة يا عزيزي ولا خلاصَ لنا.. أخبرني كيف حالك، هل انتهيت من العمل على منحوتاتك؟ وإن انتهيت متى ستفتتح معرضك؟ إني أرغب في شراء ذلك التمثال المُفضل لدي، آه بالمناسبة لماذا توقفت رسائل تهديدك لي؟ لأنني لا أجيبك؟ اكتب لي عن صراعك اليومي في محاولة أن تتخطاني، عن رغبتك المُلحة في سماع صوتي، عن تهديدك لحارس العمارة الذي أخبرني بما فعلته.. هل حقًّا تظنني بتلك الحماقة أم أنك أنت الأحمق؟!

ابحث عني أكثر، رُبما ستجدني..

واكتب لي، ستجد أحرفك طريقها إليّ دائمًا.

من تُحبك وتكرهك في الآن ذاته

"غسق"

***

أغلق شمس الجواب وهو يتنهد تنهيدة تستطيع الشعور بلهيبها وكأن كُل ما بداخله يحترق، ينظر إلى التمثال القابع أمامه بلا روح لكنه مُتقن لدرجة أنك تشعر به يتحدث، ينظر إلى الجواب الذي يبادله النظرة في سُخرية واضحة، تكاد أحرفه تنطق.. ثم يضحك في غيظٍ واضح، بينما ينهض من على كُرسي الاعتراف كما يُحب أن يسميه، فروحه تعترف بكل شيء، بينما تنحت وجوهًا مُختلفة، وجوه بها شقوق الزمن، بها آلام الماضي لكن تمثالها هي جميل في كل الأحوال، كانت غسق تشبه سلينا إلهة القمر في الميثولوجيا الإغريقية، لكن تلك الغسق هي من بيدها كُل شيء في عالمه، وحدها تُحرك الأمور كما تشاء، تستطيع إصلاح كُل ما تفسده بنظرةٍ منها، تشفي كل ندوبه بلمسةٍ.. ها هي الآن بعيدة وقريبة في الآن ذاته مثل القمر، تستطيع الشعور بها تلاحقك بينما هي أبعد من البُعد، لا شريك لها في قلبه مثلما لا شريك

للقمر في السماء..

يوم رآها منذ أربع سنوات شعر بنغزة بقلبه، سمع شيئًا صرخ في عقله يقول: "اركض خلفها.. دومًا"، لم تكن الأجمل لكنها كانت جميلة بطريقة لا مثيل لها، كُلما تحدثت سرقت قلوب المُحيطين وسرقت السكينة من عقله، كان شمس لا يريد سوى النحت والسفر، لتُضيف نفسها في القائمة وتكون أحد أهم اهتماماته، لم تكن علاقتهما سلسة يومًا، ولكنها كانت من نوع العلاقات الذي يجعلك ترغب في الوقوع في الحُب كُلما رأيتهما سويًّا.. لكنهما مثل الشمس والقمر، لا يلتقيان إلا بالكسوف، وكأن الكون لعنهما بالفراق الذي لا يحدث حقًّا.

تذكر حين رآها للوهلة الأولى.. كان كمن وجد ضالته وكانت كعادتها أقرب له من حبل الوريد، بها الحياة ومنها الممات. كان في الجامعة حين رآها للمرة الأولى، وبينما ينحت في حديقة الجامعة تمثال "أفروديت" إله الجمال في الميثولوجيا الإغريقية وجدها مُتجسدة أمامه، تتحرك بعشوائية يتبعها سقوط مفاتيح السيارة من يدها فتنحني لالتقاطها ليسقط الهاتف أيضًا.. ظل يبتسم من عفويتها حتى ذهب إليها قائلًا:

- هل تحتاجين إلى المساعدة؟

لتضحك فيسقط منها كتابٌ.. يبتسم وينحني يلتقطه. وترد دون اهتمام واضح:

- يبدو كذلك ولكن لا تقلق سأتدبر أمري، شكرًا لك.

- أنا شمس.

- غسق.

نظرت إلى التمثال الذي يعمل عليه وقالت:

- يبدو أنك مهووس بالميثولوجيا الإغريقية، تنحت أفروديت أيضًا؟

- أنا مهووسٌ بكُل ما هو جميل.

- يا لشقائك!، العالم مليء بالمُغريات.. يجب أن تكون مهووس بكُل ما هو مُميز وليس جميلًا فحسب.

ابتسم لمبارزتها الكلامية وقال بتحدٍّ:

- وما هو الفرق؟

- كُل مميز جميل، ولكن ليس كُل جميل مُميزًا، أعني أنه من الرائع أن تجد الجمال في كل شيء، ولكنه لعنة أن تقع في حب كل ما هو جميل.

- وبماذا تقعين أنتِ؟

- أنا لا أقع، تخيل أن أقع أنا وأشيائي!

ضحك شمس فأخبرته وهي تستعد للرحيل:

- لو أنني سأقع في حُب شيء جميل لوقعت حتمًا في حب منحوتتك على أية حال.

نهض في غضبٍ واضح من التذكر.. وتحرك كأسدٍ جريح، ثم اقترب من منحوتتها المُفضلة وأحكم إغلاق قبضته وهو ينظر لها في حقدٍ بالغ، قبل أن يغمض عينيه وهو يتمتم بأغنية كانت تغنيها له والدته وهو طفل صغير يعاني من محاولة السيطرة على غضبه، فقد كان طفلًا عنيفًا للغاية.. بداخله الكثير من الكلمات التي لا تخرج عن طريق الفم وإنما تتحول للكمات، رُبما السبب أنه لم يكن هُنالك من يفهمه حقًّا، كيف يخبر أحدهم عن حاجته المُلحة للمحبة والحنان، كيف يطلب السكينة والأمان. كان طفلًا عبقريًّا في الرياضيات أيضًا، وهو ما جعل الأطفال ينبذونه فاختار أن يعدل مساره ليكون محبوبًا ويسخر من العباقرة أمثاله ومن المدرسين ومن كل شيء وأصبح يُخرج كُل ما بداخله بيده، وما فعله صغيرًا في الكاراتيه صار يفعله وهو كبير في النحت؛ إذ أصبح يدفن أوجاعه بين اعوجاج منحوتاته، لكل منحوتة حكاية، ولكل تمثال قصة، ولكن تمثال غسق المُفضل هو أكثرهم تميزًا مثلما قالت من دقائقهم الأولى، لقد كانت

صديقة لزملائه في الجامعة ولهذا تتردد عليهم كثيرًا، وكلما رأته ينحت تجلس بجواره لتشاهده.. وبطريقةٍ ما كان ذلك كافيًا للغاية بالنسبة له، كان يستدعيها بالنحت وبالموسيقى. لكم أرادها أن تبقى لوقتٍ أطول، ألا تكون بذلك القرب وبين يديه ولكنها بعيدة في الآن ذاته، وفي إحدى نوبات جنونها قررت أنها لا تُريد أن تكمل ما تبقى من حياتها مع رجلٍ تحبه؛ لأنها لا تجد وقتًا لنفسها وحين ذهب إليها بعد يومين، آملًا أن تكون قد خفت حدة غضبها سألها:

- هل لديكِ قهوة؟

- ألست بوعيك؟

- بلى ولكنني أريد قهوتك.

نهضت وذهبت إلى مطبخها فذهب خلفها كما كان يفعل مع أمه، بينما جال بخاطره أن بيتها يشبهها للغاية.. ليس مكدسًا لكنها تحاول وضع كُل قطع الأثاث في أماكن متفرقة؛ حتى لا تشعر بذلك الفراغ مثل روحها، فهي تحاول إشغال نفسها عن حقيقة أنها وحيدة للغاية، ترفض الاعتراف بذلك، ترفض الاعتراف بحاجتها لأشخاصٍ آخرين وتجده ضعفًا مُبالغ فيه، كانت كُلما تفتقده، تخبره أنها تكرهه.. إذ يصيبها شعور الحاجة لشخص آخر لتستعيد توازنها بالتوتر، إنها تكره أن يكون لأحدهم سلطة على توازنها النفسي، ولكن الحقيقة

التي يرفضان كلاهما الاعتراف بها إنهما يكملان نقص بعضهما البعض، هو يحقق لها التوازن النفسي بمجرد وجوده وهي تمنحه بين ضلوعها أمانًا لم يجده في أعوامه الثلاثين.

- كيف حالك؟

- أكتب مُجددًا.. لديّ بعض الوقت لأقوم بالتسوق أيضًا والطهي ومحادثة الأصدقاء.

ليبتسم وهو يخبرها:

- أسألك كيف حالك؟ ليس كيف تقضين وقتك لتلتهي عن غيابي؟

- أود تذكيرك أنني من أردت ذلك الغياب.

- ولهذا أنا هُنا الآن، لأنني أعرف أن هذا ليس ما تُريدينه، وأنكِ ندمتِ على ذلك حينما نهضتِ من طاولة المطعم في ذلك اليوم، لكن كبرياءك المريض يمنعك من الاتصال بي.

تحركت تجاهه إلى أن توقفت أمامه مباشرة وهي تنظر له في تحدٍّ واضح..

- هل تظن أن كبريائي أقوى من حُبي لك؟

فوضع يده حول خصرها وقربها نحوه أكثر ليبدو عليها التوتر، فتضع يدها على ذراعه لتبعده مرة أخرى، لكنه يهمس

في أذنها قائلًا:

- لا يوجد شيء على هذا الكوكب أكثر تأثيرًا عليكِ مني، يجب أن ترضخي لذلك.

لم يبعدهما سوى صوت فوران القهوة، ليضحك وهي تهرول تجاهها وتنظر له في غضب:

- ستنظفها أنت.

ليقول بنبرة ساخرة:

- ما بكِ لا تحملك قدماك، أترغبين أن أحملك وأكمل القهوة؟

- شمس ماذا تُريد؟!

اقترب منها وهو يقول:

- أريدكِ، وأنتِ تُريديني، أعلم لماذا يربكك ضعفك أمامي.. ها أنا معكِ حتى عندما تتركيني، لماذا ترتعبين من محبتك لي؟ لماذا لا تستطيعين ترك روحك؟ لماذا كلما اقترب موعد زواجنا تهربين مني؟!

- صدقني، لن ترغب في معرفة ما حدث لي يا شمس.

- أخبرتك مُسبقًا أنني لا أريد أن أعلم ما لا تُريدين إخباري به، لكنني لا أبالي بأي شيء سواكِ.

- لا تجبرني على الرحيل يا شمس، لا تُجبرني على الاختفاء.

***

نفض ذكرياته مرة أخرى وعاد من شروده ثم أخرج ورقة وكتب عليها:

"لتجدي محبتي وحروفي في الجحيم عزيزتي غسق"

لم يكن شمس يعلم كيف يُمكنه أن يعبر عن مشاعره بالأحرف.. إنما يعبر عن حُبه بالأفعال، وبالغضب أيضًا.. ولأن غسق تعرفه بالقدر الكافي تعرف أن غضبه ما هو إلا انعكاس لخوفه من إظهار مشاعر التي لا تجد من يحتويها ويفهمها، ولهذا السبب تأخذ غضبه على محمل الهزل، لأنها تقرأ ما بداخله وما تقوله الأحرف التي يكتبها؛ إذ إنه لو أرسل لها تلك الرسالة ستفهم أنه يعني "أين أنتِ بحق الجحيم، لقد اشتقتُ إليكِ" وهذا كان يكفيها للغاية إلى أن قررت أن تقلب السحر على الساحر وتغضب، أن تصرخ وتكسر وتبكي وتختفي مثله.. إلى أن أصبحت مثله تمامًا لتُريه طبيعة الحياة معه.. أو رُبما يكون كل ما يحدث بينهما مجرد تجربة عملية لقصة كتابها الجديد. تذكر حين قرأ لها للمرة الأولى وشعوره أنها تعرفه منذ الأبد، وأنهما رُبما التقيا مُسبقًا في عالمٍ آخر، أو أنه بطل كُل روايتها، لطالما كانت علاقتهما مثل المد والجزر،

عدم الاستقرار هو الطقس اليومي فيها كما قالت له يومًا: كيف يجتمع الشمس والقمر للأبد إلا بحدوث كارثة كونية؟

ولكن ماذا لو حدث ذلك الخلل الكوني ويُمكن بقاء شمسين وقمر في ذات الكوكب!

***

شمس

بدا الأمر مربكًا فور وصولي.. كان كُل شيء يبدو كما هو في البُعد الآخر، أخذت أتساءل هل نجحت التجربة أم أنني ما زلت في عالمي.. إلى أن وقفت أمام أحد مداخل المحلات التجارية، ثم تأملت ملامحي وبذلتي وملابس الآخرين من حولي.. فلم أستطع تمالك نفسي من الصياح.. من الضحك بصوت عالٍ، لقد نجحت حقًّا، ولكن كل شيء يبدو مُشابهًا لعالمي، عدا شيء واحد لا أدركه جيدًا، على كل حال أنا لا أملك الكثير من الوقت، فقد أخبرت سُليمان أن يفتح لي البوابة مُجددًا بعد عدة ساعات.. ولن يكون ذلك عصيًّا عليه ولا يحتاج إلى عالمٍ في الفيزياء ليفعله.. إن هي إلا بضعة أزرار عليه أن يضغط عليها جميعًا في ترتيب مكتوب.. ولو أن حساباتي صحيحة فهذا يعني أنها تعادل ٧ أيام بتوقيت العالم الموازي، لا أعلم تأثير ذلك على جسدي البشري الهزيل، ولكن ذلك الجسد يُذهلني دائمًا.. يجب أن أبحث عن منزلي في هذا العالم الآن. وأن أضع البذلة عندي، فلا يوجد من أستأمنه عليها أكثر مني؛ ولذا بدأت في التحرك واكتشاف التغييرات التي لا يُمكن تصورها رغم تشابه كُل شيء بدرجة كبيرة.

أخرجت دفتري وبدأت أوثق:

اليوم الأول:

دخلت أحد المحال التجارية الكبيرة ببذلتي التي جذبت الكثير من الاهتمام والريبة في الوقت ذاته، حيث وجدني كل الأطفال مثيرًا للاهتمام، بينما رآني آباؤهم معتوهًا.. لا يعلمون أن من يمر بجانبهم الآن سيغير تاريخ الكون بأكمله.. سيجعلهم يسافرون العالم بنسخه اللانهائية في غمضة عين.. لكن لا بأس، لن أحاسبهم على جهلهم الآن.. وبينما أحمل بذلتي وأخرج للشارع مُجددًا وجدت إحداهن تصرخ:

- شمس؟

نظرت لها في ريبة وابتسمت، هذه هي البداية.

- مرحبًا.

- ماذا بِك، أأنت بخير؟

- أجل، ماذا بي؟

- ثيابك.. أعني هل أنت ذاهب لحفلة تنكرية أم ماذا يا رجل؟

حاولت الإبقاء على شبح الابتسامة وأنا أومئ لها بالإيجاب.

- دعك من تلك الحفلة، سنتجمع عند الشباب اليوم، حاولت الوصول لك كثيرًا لكنك انطوائي مؤخرًا.. أستطيع توقع

السبب بالطبع، أنا حزينة من أجلك.. لكنك ستتجاوزها سريعًا.. أخبرني هل أنت بخير؟

- ولماذا لا أكون؟

- يا رجل كلانا نعلم أنك لستَ بخير.. لكني هُنا إذا أردت التحدث في أي وقت.

يا إلهي للنساء قدرة على إخبارك بقصة حياة أحدهم في بعض الجُمل، لكني لستُ ممتعضًا الآن وإنما سأعتبر تلك الفتاة هي ملاكِي الحارس مؤقتًا، وقد بت أعلم أن شمس هذا البُعد يُعاني من فراقٍ ويعيش مُكتئبًا وحيدًا بمنزله.

- هل يُمكنك أن تأخذيني للمنزل، أنا مُتعب للغاية ولا أريد الذهاب وحدي.

- بالطبع يا عزيزي.

من اللطيف أن تناديني إحداهن بتلك الكلمة، لماذا قد يحزن شمس من هذا العالم طالما أن هناك من يناديه عزيزي؟، يا له من أحمق.. بدأنا في التحرك، بينما أراقب الشوارع التي لا تبدو مُختلفة عن مدينتي إطلاقًا، سوى في أنها تبدو أكثر حيوية، لم تتوقف تلك الثرثارة عن التحدث إلى جواري.. لكنها كانت تجذب انتباهي من حين لآخر ثم تفقده، وقد شعرت بالامتنان لها على أية حال، فقد كُنت

سأفقد الكثير من الوقت حتى أجمع معلومات كافية عني.

وقبل اقترابنا من منزلي وجدتني أطلب منها أن تستمر في الطريق إلى مجموعة من البنايات الأخرى.. ولم أدرِ لم.. شعرت أنني أعرف المكان هناك جيدًا، وأنني أريد أن أذهب إلى منزل بعينه.. اقتربنا من ذلك المنزل في البُعد الآخر، وحين وصلنا طلبت منها أن تنتظرني ثم صعدت إلى الطابق الثاني وطرقت الباب، وكنت قد قررت أن أكتشف السبب بنفسي. لتفتح الباب فتاةٌ في العشرينات من عمرها، نظرت لي في فزعٍ غريب صائحة:

- شمس!

شعرت بدقات قلبي تتصارع مثلما كانت تتسارع لإيما، بينما أنظر لها وأحاول حفظ ما يُمكنني من ملامحها، فقد كان وجهها هو مفهوم المثالية بعينها، مقاييسه رائعة، تحفة رياضية لا أظنني وجدت وجهًا بتلك الدرجة من الجمال من قبل، هيا يا شمس يجب أن تقول شيئًا..

- كيف حالك؟

ضحكت وهي تتحرك لتسمح لي بالدخول، بينما تبعتها قدماي دون وعي، كل شيء في منزلي يبدو مُختلفًا، حتى رطوبة الجدران لم تعد موجودة، إذ كان البيت يبدو مُبهجًا

بطريقة مبهجة، فالجدران طغى عليها اللون الأصفر والأزرق بدلًا من الأبيض في عالمي، الأثاث مُتفرق لكن انسيابية بديعة دون الورق وفئران التجارب. ثم التفتت الفتاة لتنظر لي كأنها تنتظر مُبررًا لوجودي هُنا الآن.

- كُنت مارًّا من هنا فشعرت أنني أريد أن أراكِ، كيف حالك أنتِ؟

- هل كُنت تعلم أنني هُنا منذ وقتٍ طويل ولم تكسر الباب فوق رأسي حتى تلك اللحظة؟

- لماذا قد أفعل؟

- واو، أنا مُنبهرة حقًّا.. هل تُريد قهوة؟

- أرجوكِ.

ابتسمت لي في عدم استيعاب، وفهمت أنها في الأغلب حبيبته التي فارقها.. ولذلك أخذ قلبي يتصارع في نهاية الأمر فنحن الآن نتشارك الخبرات والمشاعر ذاتها بطريقةٍ أو بأخرى وأعلم أنه يُمكنني أن أثق بها منذ الوهلة الأولى مثلما أعلم أن تلك الفتاة بالأسفل مُزعجة.. أخ!

- عفوًا ولكن لديّ صديقة بالأسفل يجب أن أودعها حتى تنتهي من القهوة.

- صديقة! من!

- لا تقلقي لن تبرد القهوة.. لن تأخذ أكثر من خمس دقائق.

استشعرت الغيرة في حديثها ولكني ابتسمت في داخلي.. لا بأس لندعها تعلم قيمة شمس قليلًا، هذا الفتى يبدو أنه واقع في الحب للدرجة التي تمنعه من اتخاذ القرارات اللازمة، نزلت لأسفل، ودعت الفتاة واعتذرت لها في سرعة.. لم أكن مستعدًّا الآن لمقابلة نسختي.. لم أكن مُستعدًّا بالدرجة الكافية بعد في الحقيقة، ودعت الفتاة التي لم تستغرب من تصرفاتي العجيبة.. وانصرفت في هدوء.. وعُدت مُجددًا أتأمل البناية بالأكمل.

نظرت في انعكاس الزجاج وأنا أهمس لنفسي:

شمس، لا تنسَ لماذا أنت هُنا.. أنت مُجرد دخيل، ستعود لعالمك بعد أيامٍ معدودة، كُل شيء هُنا لا يعنيك.. أنت هُنا لتدوين حقائق علمية بحتة ولتفوز بجوائز لا حصر لها.

ثم صعدت مُجددًا وقبل أن أطرق الباب وجدتها تفتحه:

- أكانت تلك صديقتك صفية؟

- رُبما.

- يا إلهي أنت لن تتغير أبدًا، لماذا أنت هُنا؟

- لأحتسي قهوتي، أشكرك بالمُناسبة على عرضك اللطيف.

نظرت لي في عدم استيعاب بينما تجلس وهي تتأملني:

- لماذا ترتدي هذه الثياب؟

لقد أزعجني هذا السؤال كثيرًا.

- ماذا بها ثيابي؟

- تبدو كعالم فيزياء أو رياضيات.

- وإن كُنت كذلك، هل هذا شيء يثير غضبك؟

توترت وهي تقول:

- إطلاقًا، كل ما في الأمر أنني أعلم أنك تكره إظهار عبقرتيك، لذلك تعجبت من أنك ترتدي ثياب تفضحها.

شردت في كلامها محاولًا الاستنتاج.. وكلي أسئلة.. أولًا لماذا هي هنا ما دام هذا منزلي.. ثانيًا.. هل عالم فيزياء في هذا العالم أيضًا.. سيكون الوضع مملًّا.. وبدأت في تكوين الاستنتاجات ربما وصلت لبعض الإجابات.

الاستنتاج الأول: أنا عبقري هُنا أيضًا وهذا يعني أنه رُبما حيواتنا مُختلفة فقط لأن كُلًّا منا أخذ مسارات مُختلفة وقرارات مُختلفة وليس لأن قدراتنا مُختلفة.

تساءلت في فضولٍ واضح.. بينما أريد التعرف على شمس هذا البُعد قبل أن أقابله وقلت لها:

- وكيف أرتدي عادةً؟

- لم تسألني من قبل عن رأيي في ثيابك، لماذا تهتم الآن؟

- هل ستخبريني أم ستختبريني؟

- حسنًا حسنًا، كالرجال الذين قد أحذر ابنتي منهم، تبدو مُخيفًا أحيانًا، لدرجة تجعل الناس يتساءلون كيف لرجلٍ بتلك الوسامة أن يكون واقعًا في الحُب حقًّا. لكني كُنت أرى روحك عاريةً.. أرى ندوب جسدك التي حكيت لي عنها وكيف تشعر حيالها. ألا تظنين أن الوسماء يقعون في الحُب؟

أعجبتني لغتها الشاعرية ورددت وراءها:

- ليس عندما يعجزون عن استخدام الأحرف مثلك، ولكن رغم ذلك مُتيقنة من حُبك لي.

ابتسمت وأنا أحتسي القهوة لأجدها مليئة بالسكر، لدرجة أنه قد ظهر على وجهي علامات الامتعاض التي حاولت إخفاءها، ماذا يفعل ذلك الشمس؟ هل يحاول قتل نفسه؟! ألا يعلم أن السكر والملح هما السموم البيضاء؟!

الاستنتاج الثاني: شمس البُعد الموازي لديه مشاكل

شخصية مع بنكرياسه الخاص.

كانت تراقبني عن كثب وكأنها تعلم أنني لستُ شمسها، لا تعلم أنني شمس الحقيقي الذي أتخذ الطرق التي كان يجب أن يسلكها ذلك العبقري المُتخفي.. أنا الجانب الذي لا تعرفه، وقد كان يجب أن أتخلص من تفحصها المُستمر لي ولجسدي في محاولاتها لإيجاد الفارق بيننا، لأنه من المؤكد أنها تعلم هيئته عن ظهر قلب.. وأنا كُنت طفلًا يخشى على جسده كثيرًا فلا يوجد لديّ الكثير من الندوب كما تقول عن شمس الآخر.. كان جسدي هو العباءة التي تحمي بداخلها عبقرية يحتاج العالم إليها فكانت مُهمتي هي حمايتها على عكس ذلك المتهور.

وجدتها تتململ ففهمت أنها ربما تريدني أن أذهب.. إذًا وإن كان هذا منزلي فيبدو أنه لم يعد بعد ذلك..

- أشكرك على الاستضافة، هل يُمكنني أن أترك عندك أمانة؟

- مممم بالطبع.

- هل يُمكنك الحفاظ على تلك البذلة في مكانٍ آمن، لا أثق بأحد أكثر منكِ.

- بالطبع، ولن أسألك ما هذه البذلة العجيبة.. ولا من أين جئت بها.. لكنك لن تهاتف الشرطة وتتهمني بالسرقة وتقبل

التنازل عن المحضر فقط إن وافقت على عقد قراننا، أليس كذلك؟

- بالطبع لا، أي معتوهٍ هو ذلك الشمس!

- ماذا؟

- أعني بالطبع لا، وأحتاج خدمةً أخرى إن لم تمانعي.

- كُل ما تُريد.

- أحتاج لمكانٍ كي أمكث فيه.

- ماذا حدث لمنزلك؟

- لا أرغب في البقاء فيه.. يصيبني بالأرق.

فكرت قليلًا محاولة أن تقنع نفسها بردي غير المنطقي بالمرة ثم قالت:

- يُمكنك البقاء هُنا.. أنا ذاهبة لفترة لأقضي عدة أيام في مكتبي وهو أكثر راحة لي من هنا.. أعكف على مشروع جديد.. لن تزعجني على أي حال.. سأجهز حقيبتي وأنصرف.

- ألن أزعجك فعلًا؟

ابتسمت وقالت:

- أنت الآن تزعجني بالفعل، سأحضر لك وسادة وغطاء.

- لا أعلم ماذا أقول لكِ بحق.

- هذا ما يتبقى وسأكون قد عاصرتك في كل حالاتك، هيا اخلد للنوم، يبدو أنك لست في وعيك تمامًا، بالمناسبة ما هذه البذلة؟

- بذلة العرس الذي سأجبرك على حضوره.

- آه ها هو قد عاد شمس، عودًا حميدًا يا صديقي، لقد أقلقتني عليك.. أقسم أنني فكرت جديًّا في الزواج منك عندما كُنت مهذبًا.

- تصبحين على خير يا عزيزتي.

تحركت من مكانها ودخلت غرفتها، لكنها لم تغلق الباب أو لم تحكم إغلاقه على الأقل.. لقد شعرت بانجذابٍ واضح تجاهها وأنا أعلم السبب العلمي لذلك، ولكن يبدو أنها معجبة بي أكثر منه، مما جعلني أرغب في معرفة المزيد عنه، نعم يجب أن أفعل!

وضعت رأسي على الوسادة ولكنني رغم إرهاق جسدي المُميت لا أشعر بالرغبة في النوم إطلاقًا، لا أعلم هل السبب أنه لم يمر على استيقاظي سوى بضع ساعات في عالمي أم أنني لن أتمكن من النوم حتى أعود إلى بُعدي.

كانت لديها مكتبة كبيرة، ليس بها كاتب واحد أعرفه.. جميعهم أسماؤهم غريبة رغم أنني أدعي أنني قارئ نهم.. حتى وإن لم أقرأ كُل الكتب على الأقل سأعرف أسماء الكُتّاب، ولكن لا يوجد كاتب ولو واحد مُشترك بين عالمينا.. خرجت إلى الشرفة لأرى ماركات السيارات باختلافها.. لا تبدو مختلفة للدرجة لكنها ليست متشابهة على الإطلاق، رُبما الشيء المُشترك بينهم هو الأربعة إطارات، تساءلت كيف لم ألاحظ سيارة تلك الفتاة المُزعجة، لكني كُنت مأخوذًا بكل شيء.. يجب أن ألاحظ كل صغيرة وكبيرة دون أن تفوتني أي تفصيلة، أريد أيضًا أن أذهب للطبيب لأرى ماذا حل بجسدي حتى الآن وإجراء التحاليل والإشاعات اللازمة.

تجولت في المنزل قدر الإمكان، فوجدت لديها أنواعًا مُختلفة من النباتات، والتي لا أظنها مألوفة في عالمي؛ لذا أخذت عينة من الجذر والبذور لكل ما لم أعهده، ثم وجدت لوحة مكتوب عليها "غسق" والكثير من الجوائز الأدبية تحمل ذات الاسم، يبدو أن غسق في هذا البُعد كاتبة مرموقة ومحبوبة.. كما كان هناك بعض الصور لها ولشمس هذا البُعد، نظرت إلى الصور في تمعن.. حقًّا نحن مختلفون كثيرًا.. كيف يبدو أوسم مني بتلك الدرجة على الرغم من أننا نمتلك نفس الصفات الجسدية، أعلم الآن على الأقل سبب مناداة الجميع لي كلما رأوني وكأنني رجل فضاء.

اليوم الثاني:

حّل الصباح دون نوم حقيقي، شعرت بحركتها في المنزل.. كانت قد تركت أشياء في المنزل وعادت لتأخذها.. وكانت تبدو ساحرة للغاية.. تتحرك تجاهي وكأن رؤيتي شيء عادي، ولكن ما ليس عاديًا هو رؤيتها تقترب مني وتسألني في صوتٍ ناعس أرهقني كثيرًا:

- تُريد قهوة صحيح؟

تذكرت القهوة المليئة بالسكر فصرخ بنكرياسي بدلًا عني:

- إن سمحتِ لي سأحضرها أنا.

- حقًّا!

- ألم أحضر لكِ قهوة أبدًا؟

- لا بالطبع فعلت ولكن حين كنت تريد الاعتذار فحسب.

- كم أنا أحمق!!

ضحكت فشعرت مسام قلبي قد تفتحت وإنه يُمكنني التنفس جيدًا، شعرت بتدفق الأدرنالين في عروقي وما يترتب عليه مما جعلني مذهولًا من قدرة العشق، كأنه جسر بين ذلك العالم وهذا فكما قال جلال الدين الرومي: "في

النهاية العشق شوق إلى الخلود ونشدان له"، إن الوقوع في حب تلك الغسق أكبر من مستوى استيعابي، إنها تؤثر عليّ بشكل غير مفهوم من مجرد رؤيتها لمرتين فقط.. لكنني سأقاوم بالطبع، ابتسمت وأنا أتجه للمطبخ، أبحث عن سبرتاية ولكن ما وجدته هي تلك الغلاية الكهربائية الحديثة السخيفة التي تجعل القهوة ككوب ماء، ثم شعرت بها خلفي فسألتُ دون أن أنظر:

- ألا تملكين سبرتاية؟

- ماذا؟

صمتُّ لدقائق وأنا أتساءل إن كانت تعرف السبرتاية، فأخبرتها قائلًا:

- موقد صغير مصنوع من النحاس الأصفر تشعل ناره بالسبيرتو الأحمر، وتكون ذات عين واحدة يصدر عنها لهب أزرق عادةً نستخدمها لصنع القهوة.

- أنا أعلم ما هي السبرتاية، ولكن ما لا أعيه هو منذ متى وأنت تستخدمها، أعني أنك عندما رأيتها عندي منذ سنوات ظللت تسخر مني وتلقبني بالجدة غسق، أنت من أقنعتني أن أشتري تلك الغلاية والآن تبحث عنها؟

صمت وأنا أعلم أنه سيتم كشفي بعد دقائق إن بقي الوضع

كما هو عليه. فالبشر حمقى.. يُمكن السيطرة عليهم وإقناعهم بأي سخافة.. وأكثر الأشياء قدرة على الإقناع هي ممارسة البُكاء.. وقد أثبتت الكثير من الأبحاث أن الدموع تجعل الناس أكثر استعدادًا لتقديم المساعدة، وهذا هو ما أحتاجه.. أن أقنعها وأن تساعدني.

افتعلت التأثر وأخبرتها بما حدث معي قائلًا:

- غسق، أظن أنني فقدت جزءًا من ذاكرتي، ربما سيبدو كلامي غير منطقي لكني أحتاجك أن تساعديني.. أعني أنني لم أعد أتذكر الكثير من الأشياء فقد تعرضت لحادثٍ صغير.. مجرد حادث عادي، ومن حينها لا أستطيع التعرف على الكثير من الأشياء حتى وجدتني تلك الفتاة وصرخت بي "شمس" وحينها طلبت منها أن تقلني لمنزلي إن كانت تعرفه.. فجاءت بي إلى هنا.. ولكن شيئًا بداخلي جعلني أود المجيء هنا في البداية وما حدث بعد ذلك أنت تعرفينه، حتى عندما رأيتك لم أتذكرك، وإنما استشفيت أنكِ كُنتِ حبيبتي أو رُبما ما زلت ولكنني لا أتذكر أي شيء عنا حتى إنني عرفت اسمك من الجوائز المُبهرة.

دمعت عيناها وهمست:

- ماذا تقول.. هل تعني أنك لا تتذكرني؟

شعرت بغصة بقلبي حين رأيتها تبكي مما جعل تأثري أكثر صدقًا، وكان اعتذاري حقيقيًّا للغاية:

- أعتذر لكِ كثيرًا، يبدو أنني كُنت شخصًا سيئًا معكِ.

اقتربت مني وهمست:

- أتسمح لي؟

نظرت لها في استفهام وهي تقترب ثم ضمتني إليها، كانت هذه هي المرة الأولى التي تضمني فيها امرأة غير أمي.. لكنني على يقين أن هذا ليس سبب شعوري بالدماء تسري في عروقي، وإنما السبب كونها لطيفة للغاية، لم يكن عناقًا حميميًّا بأي شكلٍ من الأشكال، وإنما كان أقرب للأمومة الخالصة، وشعرت أنني أود أن أغفو بين ذراعيها ولو لثوانٍ، وأن تمسح على شعري مثلما كانت تفعل أمي.. أردت أن أقص عليها عدد المرات التي فشلت فيها وكم من السنوات التي ضاعت لأكون بين ذراعيها هُنا الآن، وأن أروي لها كيف أنني شمس البُعد الآخر وعن إيما حبي الساذج وكيف انقلبت الأمور وأن أخبرها عن سُليمان.. أردت أن أخبرها كل شيء ولم أدرِ كيف يجتاحني كل هذا الشعور بينما لم أقابلها سوى منذ ليلة واحدة؟!

نظرت لي بارتباك بعد ذلك وقالت وهي تهمس:

- هل تظن أن هذه هي العلامة، البداية الجديدة التي كُنا ننتظرها؟ هل تلك هي المعجزة التي ستصلح كُل شيء؟!

شعرت بالأسى تجاههما، كيف لهما أن يحبا بعضهما البعض لتلك الدرجة وأن يكونا في حاجة إلى معجزة ليظلا سويًّا، أليس الحُب هو المعجزة نفسها!

- لقد نسيت أنا كُل ما حدث، ولكن كيف ستنسين أنت؟

اعتدلت في جلستها ومسحت وجهها وتنهدت وهي تبتسم ومسكت بيدي:

- لقد انتهى الأمر حين تشاجرنا يومًا؛ لكنه لم يكن شجارًا عاديًّا، كان شجارًا من النوع الذي إن نجوت منه كأنك نجوت من الجحيم ذاته، لقد جلستَ بجانبي حينها. أمسكت يدي وضممتني لك ورددت:

"نُريد قلبًا مثل جهنم لكي يحرق جهنم، ويثير مائتي بَحرٍ ولا يفر من موج البحر".

كانت تنبعث من حروفك رائحة الانتظار والأمل والخوف والعشق، وقد أخبرتك يومها أن قلبي لا يومض سوى بنار فراقك ولن يغرق سوى بِك.

فاقتربت وهَمست لي:

فأنت الجحيم والنعيم، أنت الغرق وأنت النجاة.. سأجعل شمسك بظلامي ضوءًا خافتًا يجعلنا نرى فقط الأوهام حقيقة، ألا نرى فراقنا هو بداية الطريق، لنمنح النهاية أسماء أخرى.

- ألا تظنين أن الحُب شيء مبالغ به كثيرًا؟ أعني لماذا يُمكن لإنسانٍ أحمق أن يعطي لإنسانٍ آخر تلك السُلطة على قلبه وتغيير كيمياء عقله، تخيلي معي لو منحنا الإنسان كل يوم قرصين من هرمون الدوبامين والسيروتونين(5) ، هل سيكون الإنسان غبيًا للدرجة التي تجعله يقع في الحُب ويجعل كُل ما بداخله تحت أمر ذلك الكائن أم أنها لعبة من الجسد فقط لتقبل حماقة الطرف الآخر والتمكن من التكاثر حتى لا ننقرض.

- أنت تفكر كرجل كهف. هل تظن أننا نقع في الحُب فقط حتى نتكاثر، ماذا إذًا لو كان طرف من الأطراف عقيمًا بينما يختار الآخر أن يبقى معه على أن يصبح أبًا!

- لماذا وقعتِ في عشق شمس؟

- لماذا تتحدث عنك وكأنك رجلٌ آخر، كُنت سأظنك تدعي فقدان الذاكرة إن أردت الحقيقة ولكني الآن سأشك في كونك شمس من الأساس.

- ألا يشعر المتحابان بقلوب بعضهما مثلما يدعي العُشاق، أتشعرين أنني شمسك؟

- لا تختلف كثيرًا عن الرجل الذي كُنت تحكي لي عنه قبل أن نتقابل ذاك اليوم.. أظن أن هذه هي هيئتك حين لا تكون واقعًا في عشقي.

- أيزعجك هذا؟

- أنت أزعجتني كثيرًا يا شمس، لا بأس بأن تزعجني هذه المرة أيضًا. على الأقل رغمًا عنك، لديك عُذرك للمرة الأولى.

- تعرفي عليّ مُجددًا.

- لقد تعبت وأنا أحاول التعرف عليك.. كُلما ظننت أنني نجحت، تذهلني بمقدار جهلي بك وتعتريني الخيبة وأنا أتعرف عليك من جديد. حتى تعرفت عليك في كل أحوالك يا شمس، لقد عاهدتك في كُل حالاتك وبقيت على وعدي ما استطعت، وها أنت الآن تأتي لي مُجددًا وأنت تعرف نفسك ولا تعرفني.. هذه المرة أنت هُنا وتُريدني أن أتعرف عليك وأن أعرفك عليك أيضًا.

رجعت لموضعها مُجددًا وعيناها دامعتان، وعلى فيها ابتسامة، لقد كانت تبدو مثالية بطريقتها الخاصة. حاولت تجاهل حقيقة أنني شعرت بالغيرة من شمس هذا العالم

لوهلة، إذ لم يكن لديّ يومًا من أذهب إليه بكامل عُهري وخطاياي كي يقبلني ويفتح لي قلبه قبل ضلوعه، أن يحتضني بحنينه، ترى من منا أذكى حقًّا هل شمس هذا البُعد الذي أحرق قلبه الفراق أم أنا الذي التهمني صقيع الوحدة.. عدت من شرودي واستأذنتها في الذهاب إلى الحمام لأكسر حلقة الذكريات التي ستجعلني أرغب بالمزيد والمزيد فحسب، أرغب بالمكوث جوارها وأن تقص عليّ قصتهما ثم أذهب إليه لأرى حالته دونها.

وجال بخاطري استنتاج جديد.

الاستنتاج الثالث: المرء وحيد للغاية طالما أنه يعود لمرقده كل يوم ليختبئ في الفراش بدلًا من التخفي بين ضلوع من يحب.

استغرق مني الاعتراف بهذا الاستنتاج أكثر من ثلاثين عامًا، وكسر لديّ الكثير من الكبرياء، كيف لي أنا شمس الوجود أن أعترف بحاجتي لشريك، إن وجود غسق جعلني أتيقن أنني مُظلم للغاية وأنني بحاجة لظلامٍ يشبه ظلامها. ولكن أعلم أن هذا شعور مؤقت فقط؛ لأن مشاعر وخبرات شمس تسيطر عليّ الآن، ولكن كما يقول سُليمان دائمًا: "لا بأس أن نعود أطفالًا من حينٍ لآخر ونحزن ونبكي دون أن ندّعي القوة". هذا ما يقوله الفص العاطفي في عقلي ولكن

أنا هُنا لأيامٍ معدودة، وكُل ما عليّ فعله هو اكتشاف كُل الاختلافات المُمكنة ويجب أن أعلم الاختلافات بيني وبين نسختي الأخرى كبداية.

حين خرجت وجدتها تحمل حقيبة بها الكثير من الخطابات.. اقتربت لتضع قُبلة على رأسي وهي تقول:

- أنت بحاجة للتعرف عليك وليس علي أنا، هذه خطاباتك التي كتبتها لي على مدار الأربع سنوات السابقة إضافة إلى بعض الخطابات التي لم أرسلها لك.. لديّ ندوة خلال ساعة، سأذهب وحين أنتهي سأذهب مع رفاقي للتنزه قليلًا، خد وقتك.. أنت بحاجة لقضاء بعض الوقت مع ذاتك.. وجدتني أسألها:

- هل ما زلتِ تُحبين شمس؟

- تتكلم عنك وكأنك شخص آخر من جديد.. شمس هو وقودي للحياة، هو من أستيقظ من أجله كُل صباح ومن أنام لأنني قد أراه غدًا، حتى فراقه هو ألمٌ ممتع يدغدغ الروح.. يجعلها تشعر بالفقد والألم والاشتياق وتشعر بالسكينة فقط في وجوده.. وأنا كاتبة في نهاية الأمر، فالإبداع يولد من رحم الألم.. فلا بأس ببعض الندوب لأنزف حبرًا يليق به ويليق بقصتنا.

- غسق، لماذا تثقين بي.. رُبما أنا كاذب ولم أفقد الذاكرة.

- لا يوجد بعينيك البريق الذي يجعلني أقع أسيرتك بعد كُل فِراق، لا تتحدث بلغتك المُعتادة، لغة جسدك مُختلفة، توترك لذيذ ولكنه جديد.. كُل ما تفعله وتقوله ومفاهيمك عن الحياة والحُب هي لشمس الذي قصصت لي عنه لأعوامٍ، الرجل الذي فر من داخلك عندما سكنتك أنا.. وأنا متيقنة من أنك لست ذلك الرجل الذي وقعت في عشقه ووقع في عشقي.. ورُبما هذه هي بداية جديدة لنا، آمل أن نستكمل قصتنا أو تكون نهايتنا هنا حتى لا تتألم من الفراق.. فأنت لا تتذكرني، وهذا يكفيني يا عزيزي.. يكفيني أن أعلم أنك لن تتألم.

- لماذا تعجبتِ حين رأيتني؟ لماذا افترقنا؟

- أتعلم لماذا يخبرك الغرباء دائمًا أن تترك علاقتك الفاشلة من وجهة نظرهم وترحل وألا تنظر خلفك أبدًا؟، لأنهم لم يروا مدى عمقها. لم يعلموا بماذا مررتما سويًّا وماذا تخطيتما، لا يعلمون سوى القشرة السطحية من العلاقة.. لا يدركان مدى تأثير العشاق ببعضهما البعض، التأثير الذي يجعلك تحُب ألمك فقط لأنه بسبب ذلك الشخص وأن تتقبله، أن تسامحه وتنجب محبته مُجددًا كُلما أجهضتها المواقف.. لا يُحق لك أن تعرف لماذا افترقنا قبل أن تُدرك مدى عُمقنا.

- لماذا تهتمين، هل تخافين من حكمي على العلاقة أم

إنكِ تخشين ألا أحاول أن أتذكر هباءً علاقة محكوم عليها بالفشل؟

نظرت لي ثم إلى الخطابات وأخذت حقيبتها ورحلت.

هل هي حمقاء، هل حقًّا سأهدر يومًا آخر في قراءة جوابات العُشاق السخيفة؟.. لكن للأسف تلك الخطابات هي كل ما لدي لأعرف أكثر عن شمس هذا البُعد. أخذت الخطابات مرغمًا وبدأت في التصفح ثم القراءة..

الخطاب الأول:

الجدة غسق،

هذه هي المحاولة رقم مائة في محاولة اعتناق مذهبك والتعبير عما بداخلي بالأحرف، محاولاتك الساذجة في علاجي لن تنجح، لكنني سأخوض ذلك فقط لأثبت لكِ ما أقول.

في هذا الجواب يجب أن أكتب كيف أشعر، ولماذا أشعر به.

ها أنا أجلس بينما أحتسي قهوتك التي أحبها عادةً بدون رغوة، في حين أنك تُحبين تلك السبرتاية العتيقة لسببٍ لا يعلمه سوى الله، هل أنتِ دجالة وتقرئين الفنجان أم ماذا؟

أتوقع أنكِ تشعرين بالغضب الآن من استهتاري بطريقتك

ولكن حسنًا، سأجرب الآن.

أنا غاضب.

لماذا؟

لا أعلم، لكنه شعور يسكن بي منذ طفولتي، أنا دومًا غاضب. ولكنني تأقلمت على نسبة مُعينة من الشعور بالغيظ، والتي بمُجرد أن تزداد ولو بنسبةٍ طفيفة أفقد التوازن، أشعر بالغضب لأنه لا أحد يفهمني، لا أحد يعلم ما بي حقًّا وكيف تدور الأشياء داخل عقلي، حتى أنتِ، خصوصًا أنتِ. تغضبين من غضبي وتعاقبينني كأم تحاول تربية ابنها وأنا لستُ بطفلك، يغضبني محاولاتك البائسة لإصلاحي وكأنني نصٌّ يجب تعديله ليليق برواياتك، أريدك أن تتقبليني مثلما أتقبل عيوب منحوتاتي، مثلما تتقبلين حماقات أبطالك بصدرٍ رحب، أعلم أنك تتقبليني بنسبةٍ ليست قليلة لكنها ليست كاملة، ذاك النقص يؤذيني، يمزقني، يجعلني أشعر بالضآلة، أرجوكِ يا عزيزتي افهميني قليلًا، ابتعدي عن منطق العالم واعتنقي منطقي اللامنطقي ليحل السلام.

اشتقت لكِ.

عالمي بحاجة إلى هدوئك وسكينتك، بداخلي ما يكفي من الصخب وغيابك يُزيد من الضجيج.

شمسك المُنطفئ.

***

الخطاب الثاني:

صديقتي غسق،

وددتُ أن أكتب لكِ وأعبر لكِ عن امتناني لموافقتك على احتساء القهوة سويًّا، أرجو ألا أكون قد سرقت الكثير من وقتك، قلتِ لي من قبل "من الحماقة أن تتوقع أن يعرف الآخرون ما يجول بخاطرك" ولذلك فكرت أن أكتب لك ذلك الجواب، والذي كان بمثابة امتحان حقيقي لي، فأكثر مادة كنت أكرهها هي اللغة العربية وجزء التعبير خاصة.. أعني هل تدركين كم هو صعب أن تتحدثي عما يجول بخاطرك وبقناعاتك بمنتهى الشفافية على ورقٍ ليتم تقييمه، هل تدركين صعوبة أن يتم الحكم عليكِ كإنسان وتقييمك من خلال حروفك، هذا إن حالفك الحظ من الأساس لإيجاد الحروف والكلمات الصحيحة، لو تعلمين أن هذا ربما يكون الجواب العاشر الذي أمزقه لأعيد ترتيب أفكاري من جديد.. رُبما أنني أتوقع أن يعرف الآخرون ما يجول بخاطري، لكن الحقيقة أنني لا أعرفه أيضًا، مُضحك أليس كذلك؟

أعتقد أنه يجب أن نكف عن كتابة الجوابات التي نمزقها

ونكره كشفها على الآخرين ولكن شيئًا ما بداخلي يود أن يشاركك عشوائيتي.. رُبما لأنني أعلم أنها قد تكون وسيلتي الوحيدة لجذب انتباهك.

صديقك المُحتمل

شمس

***

الخطاب الثالث:

غسقي،

استيقظت اليوم وأنا أعيد ترتيب فوضاي الداخلية، وجدتك متفشية بداخلي كسرطان الروح، لا أعلم كيف أستأصلك أو أين أضعك، هل في خانة الماضي أم الحاضر الذي بلا مستقبل أم المستقبل المجهول، هل في خانة الأشياء العادية التي نُشفى منها أم في الصندوق الأسود في آخر بِقاع الذاكرة الذي كلما عدنا إليه مهما مر من دهرٍ يؤلمنا كلحظاته الأولى.

أنا في مرحلةٍ متأخرة من الشوق، كل ما بداخلي يؤلمني.. أشعر بقلبي على وشك الانفجار وعقلي أستطيع شم رائحة احتراقه، أنا مريض بك وأمر بوعكة بسبب غيابك، ربما

سيمنعني الكِبر من إرسال هذا الجواب ولكن بداخلي أعلم أنكِ تشعرين بي وإن لم أرسل شيئًا.. تعلمين أنني أجلس الآن في أرض الشرفة التي لطالما شهدت خططنا للمستقبل وأحلامنا البريء منها والجامح، شهدت تقلباتنا من الشدة إلى اللين ومن المحبة إلى الهجر، أجلس الآن وأنا أحتسي القهوة وحدي وأفكر في كم الأسئلة التي بلا جواب ولا أستطيع التنبؤ بما قد يحدث، لعل هذا هو سبب تمسكنا بالحياة، ذلك الأمل الساذج في معرفة ما قد يحدث حقًّا. ورُبما لذلك قد أنعم علينا الله بالمعرفة المحدودة ليكون لدينا سبب دائم للعيش، تتذكرين حين وضعتِ رأسك على كتفي ثم دفنتِ وجهك بي وأنتِ تقولين: أتعلم لماذا النهايات حزينة؟، لأننا لا نعلم عادة كيف ومتى ستحدث.. فلا أحد يكون مستعدًّا للفراق أبدًا.

أنا لستُ مستعدًّا لفراقك أبدًا، ولا أطمح جوابًا منكِ عن قرارك بعدم منحنا فرصة أخرى. لكن اعلمي أنني سمعت صوت سبرتايتك في المطبخ اليوم تقول: "اللعنة عليكِ غسق وعلى أحكامك الحمقاء" بعدما أفرغت غضبي بها وضربتها بعرض الحائط مراتٍ عديدة مثلما فعلت بقلبك لكنها لم تنكسر، "عتيقة" مثلما تقولين عنها.

وفي النهاية أحب أن أقول إنني لا أفتقدك لأنكِ هنا

بطريقةٍ ما، أنت في عقلي وقلبي، وبيتي مليء بكِ حتى إن الأريكة المتشبعة برائحتك تنوب عنكِ، لذا لن أبحث عنكِ حتى تبدأ رائحتك في التلاشي، أرجو أن تكون تلك الفترة كافية لتتعافي من الحكمة وتعودين حمقاء للدرجة الكافية التي تجعلك تعودين لي مُجددًا.. وتذكري دومًا أنني أوفى حماقاتك.

إليكِ.

***

الاستنتاج الرابع: كُلما ازداد عشقك كُلما ازدادت حماقتك.

بعد قراءة تلك الجوابات اكتشفت شيئًا واحدًا لا ثاني له، هذا أغبى "شمس" في كل الأبعاد الكونية.. أي رجل هذا الشمس؟! كيف يكون بتلك الحماقة؟! فحتى أنا الشخص الذي لا يعرفها استطعت فهمها، بل بدأت أتعلق بها في يوم وليلة.. فهل الحب يدمر الذكاء؟! إن حماقته تشعرني بالخجل لكونه نسخة مني في نهاية المطاف.

تركت الجوابات وأخذت أتفحص بعض الأوراق الأخرى.. وجدت على إحدى الطاولات إعلانًا مطبوعًا عن معرضٍ للفن.. من حسن حظي أن وجد اسم شمس هذا العالم ضمن العارضين، ها هو الحب يساعدني على إيجاد نسختي

الأخرى من جديد، إذ إن تلك المسكينة تتابع أخباره رغم الفراق إذًا، ولذا فقد حان وقت البحث عن شمس، يجب أن أجد ذلك الأحمق.

تأكدت من سلامة بذلتي وإخفائها بعناية، ثم حاولت البحث عن موقع المكان الذي سيقام به المعرض لكنني لم أفلح؛ ولذلك قررت الاعتماد على الموارد البشرية والعودة للعصر الحجري بسؤال أحد المارة، إني أشعر بالرغبة في الصراخ بحماسٍ وأنا بين هؤلاء البشر، أرغب في الصراخ قائلًا: أنا لستُ من بُعدكم، أنا مسافر.. أنا عالم سيُحفر اسمه في التاريخ وستستخدمون وسيلته في المستقبل، أنا عالم سيحتفي العلم بتجربته وذكائه، لكنني أمضي بينكم الآن دون أن تنتبهوا لي حتى..

ظللت أسأل العابرين بينما قررت المشي سيرًا على قدميَّ وددتُ أن أرى كُل شيء عن كثب، أرى كم أنه متغير هذا العالم.. كم أن خلق الله بديع للغاية، لقد خلق البشر ليعبدوه وليتأملوا مخلوقاته وتخيل عظمته من التفاصيل الصغيرة، لكنه خلق العلماء لكي يكتشفوا خبايا الكون العظيمة ويخبروا هؤلاء البشر عن روعته، إنني لا أستطيع التحكم في شعوري بالحرية، شعوري بأنني قادر على التنقل بين الكواكب والمجرات بما منحني إياه الله من علم، لا أعلم كيف

يقع بعض العلماء في فخ الإلحاد، فبالنسبة لي كُلما ازدادت معرفتي كُلما وقعت في حب الله وزاد إيماني به أضعافًا مضاعفة..

لم أشعر بالمسافة من تعمقي في التفكير والتأمل وسؤال العابرين من حينٍ لآخر حتى وصلت إلى معرض النحت، وبمُجرد أن اقتربت من أحد رجال الأمن استقبلني بابتسامة عريضة وهو يفسح لي الطريق كي أمرّ، لقد ظن أنني شمس وهو ما جعل موقفي ينتهي بشكل أكثر سهولة، أما الآن فقد تبقى أمامي أن أنتظر نسختي الأوسم وأن أختفي عن الأنظار.. ومن حسن حظي أن غسق لن تأتي بالطبع لعلمها بأنني في المنزل، تجولت في المكان حيث تتواجد غرف كثيرة عليها الكثير من الأسماء فدخلت الغرفة التي يوجد عليها اسم "شمس"، لأجد بها الكثير من المنحوتات، بعضٌ منها يشبه غسق والبعض يشبهني.. حيث إن بعض التماثيل تشبه الميثولوجيا الإغريقية، فما اكتشفته هو أننا جميعًا نملك التاريخ ذاته باختلاف الشخصيات القيادية على حسب اختياراته، أو هكذا أظن..

وفي أثناء تأملي لمنحوتاته التي كانت مُتقنة لدرجة مُمتعة إحقاقًا للحق، وجدت الباب يُفتح، فشعرت بدقات قلبي تتسارع والأدرينالين يزداد بداخلي حتى رأيته!

إنه أنا وأنا هو.. لكننا مختلفون كثيرًا، يقف أمامي بثيابه العشوائية والمُنسقة في الآن ذاته، بشعره المُهندم على عكسي.. يقف أمامي وينظر لي وهو يقول بينما يتحرك في الغرفة بلا أي اندهاش من رؤيته لي:

- هل اكتشفت الأمر للتو؟ يا إلهي كنت أظنك أذكي من ذلك.

نظرت إليه في عدم استيعاب، إذ ظننت أنه سيقع على عاتقي أنا محاولة تفسير ما يحدث، ولكن هل يعلم من أنا أم أنه يظنني رجلًا آخر؟!

- مهلًا، هل تعلم من أنا؟

- بما أنك هُنا اختر معي أيًّا من هذه المنحوتات يمكنني عرضه للبيع اليوم، وبما أن غسق أخبرتك بالطبع عن منحوتتها المفضلة، فلن نعرضها.

- لن أسألك كيف عرفت أنني كنت معها، فأنا أعلم أنك لستَ بذلك الغباء. لكن هل يعني ذلك أنك سافرت عبر الأكوان مُسبقًا؟

نظر لي وهو يتفحصني بعناية وضحك وهو يقول:

- هل أفسدت الأفلام عقلك؟

- أخبرني أنت.

- هذه ليست هي المرة الأولى التي نلتقي بها.

- كيف؟

- لقد تقابلنا في بُعدك من قبل.

- أنت اكتشفت السفر عبر الأكوان قبلي!

- عيبك الدائم الذي لم تستطع تغييره هو اعتقادك أنك أذكى من الجميع، اعتقادك أنك فريد ووحدك من تعرف أسرار الكون.. يا عزيزي كُلما ازداد ذكاؤك كُلما علمت مقدار غبائك.

- لماذا لم تكرر تجربة السفر مُجددًا؟!

- لأنني علمتُ حكمة الله من وجود أكوان موازية، علمتُ أن كُلًّا منا في المكان الذي من المفترض أن يكون فيه.

نظرت له في تشتت، إذ إنني متأكد من عدم رؤيته مُسبقًا لكنه أكمل:

- حافظ على بذلتك جيدًا، إنك ستودّ العودة قريبًا.

- ماذا حدث مُسبقًا؟

- الزمن أمر قدري ومُخادع للغاية، بوجودك هُنا أنت من

تخدعه ولكن تأكد أنه سيثأر لذلك.

- كلامك غير علمي.

- كلامي عن تجربة، التجربة هي العلم وليس نظرياتك المُحتملة.

- بل أنت المخادع، لو سافرت عبر الأكوان حقًّا كيف لم يعلم أحدٌ بهذا حتى الآن.. كما أنك لا تعمل بأمور الفيزياء.. ثمة أمر غير مفهوم هنا.. أشعر بالدوار..

- لم يعلم أحد يا عزيزي لأن خوفي على البشرية أكبر من حبي المطلق لذاتي، صدقني! وأظن أنك بنهاية رحلتك ستختار نفس اختياري.

- أنا لستُ جبانًا مثلك، أنا عالم.. هدفي الأوحد هو خدمة العلم والعالم.. سأظهر معك اليوم وأخبرهم أنني من بُعدٍ آخر.

أجابني وهو منشغل في اختيار المنحوتات بلامبالاة:

- رائع! ستكون مجذوب المدينة الجديد، حظًّا موفقًا يا صديقي، كُنت أود أن أعطيك مالًا لكي تُكمل رحلتك، لكني لن أفعل ذلك.

تحركتُ في ثبات استعدادًا للرحيل، بينما يرتجف كل ما بداخلي، إذ شعرت بدقات قلبي المتلاحقة وعقلي المُشتت

الذي يُعيد إحداثيات التجربة بأكملها، أحاول أن أعتصره كي أدرك متى رأيته؟ وكيف؟ وما الذي آلت إليه الأحداث؟ ولماذا يقول إنني سأرغب في العودة قريبًا؟.. وبينما أخرج من المعرض متخفيًا صرخ بي أحد الموجودين:

- ماذا بك؟ ما شأن ثيابك يا رجل؟ وما هذا الهرج الذي ترتديه؟.. ولماذا يبدو شكلك غريبًا هكذا؟ متى استبدلت ثيابك؟ وكيف تغير شكلك هكذا؟.. بالكاد أعرفك..

- ما بها ثيابي؟

- سيقتلنا أبونا لو رآك مرتديًا هكذا.

رنت الكلمة في أذني طويلًا.. أبونا.. هل يعني هذا أنه أخي؟!! تأملت ملامحه في تلك اللحظة جيدًا، لأدرك كم أنه يشبه نسختي الأوسم بحق، عيناه واسعتان مثل أبي وأنفه مُتقن بعناية.. شعره يميل للون البني الفاتح مثل أمي، بينما أميل أنا للون البني الداكن مثل أبي، والذي جعلتني ذكراه أدمع رغمًا عني، فقد شعرت لوهلة أنني خسرت أبي مُجددًا.. فمررت بألم فراقه كله في لحظةٍ واحدة أمام ذلك الذي أظنه أخي.. أخي وأبي؟ هنا في هذا العالم؟!

هل هذا عالمٌ موازٍ أم الجنة؟!

إنه كل شيء افتقدته في حياتي، العائلة والأمان والونس..

فقد كانت تلك أشد اللحظات التي تدرك فيها كم أنت وحيد، بل وآلفت وحدتك، كانت اللحظة التي تتمنى فيها لو أن كُل شيء مُختلف، لو أنك لم تكن مُضطرًا للمرور بكل ذلك وحدك. أخذت أنظر إليه طويلًا لأتأكد من أن هذا الذي يحدثني هو أخي في هذا العالم..

دون شعور ضممته لصدري رغمًا عني، كان الأمر أشبه بأن تنتزع كُل ما وددت أن يكون لك يومًا ما ولم يكن أبدًا.. انتزعت ذلك الشعور عَنوة من القدر، ضممت الأخ الذي لم يكن لدي أبدًا وضمني بدوره وهو متعجبٌ، حتى شعرت بمحبته الحقيقية لي دون مُقابل، لطالما تعجبت من علاقة الأخوة، وتساءلت هل يحب المرء أخاه لأنه صديق طفولته وشريكه في الكوارث أم لأن بينهما صلة بالدم، أم لكل ما سبق؟ فالمرء وأخوه يستقر بداخلهما نفس الروح والقلب، وإلا لماذا تتمزق إذَا إن أصابه شر؟! ولماذا تنطفئ روحك بغيابه وكأنه مصباح الروح؟! أما أنا فقد وقعت الآن في حُب احتمالية وجوده فقط لا غير.

بعد ثوانٍ أدركت أن بقائي هنا سيزيد كل الأمور تعقيدًا.. ربت على كتفه ورحلت في حزن وافتقاد شديدين، رغم حاجتي لرؤية أبي الذي ما زلت أملكه في هذا العالم، ولكني يجب أن أستجمع نفسي وأفكاري أولًا.. يجب أن أذهب

لغسق فهي من ستساعدني على معرفة نفسي جيدًا، وربما أستنتج منها بطريقةٍ ما لماذا شمس هذا البُعد ليس من مُناصري السفر عبر الأكوان.

حاولت الاعتماد على ذاكرتي المشوشة اليوم، لكن جسدي مُرهق ولا يمكنني إنكار ذلك أكثر.. أحتاج للنوم لكنني خائف من ميعاد فتح البوابة وسليمان.. أعلم أن ميزان الوقت مُختلف بيننا وأن الساعة هُنا ربما تكون بأضعاف أضعاف.. وربما العكس أيضًا.. ما زلت لا أملك معلومات كافية عما حدث.. لكنني لا أشعر أن بيدي زمام الأمور خاصة بعد لقائي مع نسختي الأخرى في هذا العالم، ماذا حدث من قبل ولماذا لم يحاول تكرار تجربته ونشرها، لماذا قرر التخلي عن حلمنا منذ نعومة أظافرنا، هل لأن في بُعدي لا يوجد أب ولا أخ ولا غسق؟ نعم.. من الطبيعي ألا يرغب في العيش في حياتي الأقل حظًّا وسعادة من حياته.

الاستنتاج الخامس: يبدو الأمر أفضل دومًا على الجانب الآخر، ولكن لا تنخدع.. كُلٌّ منا في جحيمه الخاص.

بينما أسير شريدًا فوجئت بيدٍ تمسك بيدي.. ووجدت غسق تقول:

- كُنت أعلم أني سأجدك هنا.

ابتسمت في امتنانٍ حقيقي، فهُنالك بعض اللحظات التي تمر عليك حين تشعر أنك تائه من داخلك وتتمنى أن يمسك أحدهم بيدك كي يدلك على الطريق، نظرت لها وأنا مرتعد من أن تعلم بحقيقة أنه هُناك اثنان شمس.. لست خائفًا من معرفتها وإنما من رفضها لمساعدتي في التعرف عليّ وعلى أسباب تغيري على حسب قولها، وعلى الاختلاف بين شمس في بداية معرفته بي وما هو عليه الآن.

- قرأت بعضًا من الخطابات، لديّ رغبة في التعرف على الرجل الذي وقع في حبك.

- لا تقلق، فلقد قابلتك من قبل وجعلتك تقع في حُبي، يُمكنني تكرار ذلك للأبد.

- ولماذا تظنين ذلك؟

- لأنني لمست بك عُمقًا لم تدرك وجوده من قبل، فقد كانت روحك قلقة دومًا، تبحث عن الأجوبة وكأنك تبحث عن ذاتك.. كُنت تشعر دومًا أنك هُنا لسببٍ، وهو ما جعلك ذلك دائم البحث والتوتر كأنك تبحث عن سبب وجودك، لقد جعلتك تعتنق الإيمان عن اقتناع، أن تتخلى عن العالم المادي البحت، وأن تؤمن بأن بعض الأشياء هكذا هي طبيعتها فحسب ولا يجب أن نبذل جهدًا لإثباتها.

- هذا عالم الروايات الخاص بِك ليس العالم الواقعي الذي نعيش فيه، ماذا لو لم يخترع نيوتن نظرياته وآمن فقط أنه كان تحت الشجرة ليأكل التفاحة وإنها رزق من الله؟! ماذا لو لم يكتشف جون والكر(6) عود الكبريت بمحض الصدفة؟! ولو لم يترك ألكسندر فلمينج(7) وعاءه الشهير الذي اكتشف مادة البنسلين وأنقذ البشرية بالمضادات الحيوية؟! لا يوجد ما يُسمى مصادفةً في العلم، بل إن العلم يختارك وحدك دونًا عن الباقين لتكتشف ما حاول التوصل إليه الآلاف من البشر الذين سبقوك.

- من هؤلاء؟

صمتُّ قليلًا، وأنا أفكر أنها لا تعرف بالطبع من هؤلاء.. فكيف لها أن تعرفهم، رُبما نيوتن كان بالحماقة الكافية في هذا البُعد التي تجعله يأكل التفاحة أو ربما استخدم عبقريته في زراعة تفاح عالي الجودة، وربما يكون جون والكر هرع لإطفاء النار في عود الثقاب دون الاكتراث لسبب اشتعالها، رُبما أن جميع العلماء هُنا في غاية الغباء.

تحركنا في اتجاه المنزل بينما أتأمل الطريق برفقتها وهي تشاركني ذكرياتها مع شمسها أملًا في أن أتذكرها.. لكن أشعر أنه كُلما مرّ عليّ وقتٌ في هذا البُعد كُلما انتابني شعور بالفقدان، فقدان شيءٍ لم أملكه قط، فقدان الشعور حتى

بالضعف، فالضعف أحيانًا ما يكون قوة مُقنعة، ضعف وخوف من أن تخسر ما بحوزتك، فحتى شمس هذا البُعد يُعاني ويقاومني حتى ينعم بما لديه، يقاوم طموحه وعبقرتيه وأهدافه ويعلن انهزامه أمام منحوتاته، يعلن ضعفه للفن وينحت ما لا يستطيع فعله.. فلا تملك سوى أن تتعاطف معه!

قطع حبل أفكاري وصولنا إلى وجهتنا وصوت غسق الذي لم يتوقف حتى أصبح في الخلفية، لكني كُنت أستمع لها بعناية على الرغم من ذلك؛ أملًا في الوصول لسبب تغيُّر شمس، الذي يجعلني أتساءل هل وجودها كافٍ بالنسبة إليه كي يتخلى عن كُل شيء أم أن لديه سببًا أكثر جدية من ذلك مثلما فهمت من كلامه؟!

وصلنا إلى البيت وحين صعدنا وجدت الكثير من الجوابات بانتظاري بعد، فأردت أن أتشربهم لأنه من المؤكد أنه سيقول لها الكثير من الأشياء مُعتمدًا أنها لن تفهمها، سيعترف لها بشكلٍ خفي، سيقول كُل ما حدث معه دون أن يخبرها بصورة واضحة، سيصف شعوره على الأقل وهذا كافٍ بطريقةٍ ما، لقد وجدت أيضًا بعضًا من جواباتها غير المُرسلة التي ذكرتها لي، فجلست أتأمل المنزل مُجددًا وأنا أتهيأ للقراءة، أتأمل كل تلك الكُتب والروايات والمُجلدات، إذ وددتُ لو أنني أكتسب خبرات كل المجهولات بالنسبة لي..

في النهاية جلست لأقراء الخطابات.

الخطاب الرابع:

شمس،

حين رأيتك ظننت أنني وجدت نوري، لكن يبدو أنني ركضت للاحتراق بإرادتي، كُنت أشعر بسذاجتي الحالمة كالقمر مثلما تقول، مثلما تخبرني أنك شمس لا شريك لك، وأننا كُنا دائرتين لهما مركزان، وكُلما زاد اتحادنا أصبحنا كالكسوف.. دائرة واحدة لها مركزٌ واحدٌ، ولكن ما أشد حماقتي!! كيف لم أدرك أنه للخسوف نهاية؟! فقد كانت نهايته حين قررت أن تسافر وتتركني، تبخرت ثم عُدت دون أن تحاول تبرير فعلتك، وإنما تركت لي جوابًا من النرجسية يتحدث عنك، لا أعلم هل أجبرت أحدهم على أن يكتب عنك أم ماذا؟! أذكر كيف جئت وتركت لي بطاقة مكتوب عليها:

"امتحان العشق هو الفراق وليس الوِصال".

كانت نقاشتنا محتدة بالفعل قبلها، وبقيت ألوم نفسي كثيرًا على أنني سبب رحيلك، أتذكر كيف كُنت أصرخ بك: "كيف لك أن تكون إنسانٌ لا يُبالي إلا بنفسه لتلك الدرجة، تُخبرني أنك تُحبني ولكن لا تتقبلني، تخبرني أنك لا تستطيع العيش دوني، لكنك لم تتعلم كيف تعيش معي، تريدني أن أكون كما

ترغب أنت، تُريد تشكيلي وكأنني منحوتة تُريد أن تصنعها كيفما تشاء. أخشى أن أخذلك ولكنني من لحمٍ ودمٍ، ولن يكون لديك الوقت الكافي بعمرك حتى تشكلني كيفما تشاء، كل ما عليك هو أن تتقبلني كما تقبلتك أو ترحل وتتقبل هزيمتك فحسب".

أتذكر ذلك اليوم حين انتابتني نوبة هلع وأنت جالس أمامي تسألني بمنتهى المنطقية:

- هل يوجد سببٌ لشعورك بالقلق؟، لا! إذًا هذا وهمٌ بداخلك.. تحكمي بعقلك.

كُنت تتحدث وكأنك مُذيع في التلفاز يجلس أمام سرابٍ، أعلم أن الأمر بعقلي يا أحمق، من قال لك إن المرض النفسي يحدث بفعل شيء آخر؟ لكنني أردت أن أختفي من أمامك حينها، أردت أن أختبئ بك منك، لقد كانت تمزقني عقلانيتك المُبالغ بها، حتى إنني أتذكر حديثك عن نفسك وكيف كُنت قبل أن تعرفني، فأحاول تقبلك، لكنني الآن لا أملك الرغبة في قبولك ولا في مجاراتك. لأنك كُنت بالحماقة الكافية التي جعلتني أعتاد غيابك، لكنني كُلما افتقدتك فتحت ذلك الكتاب الذي أحضرته لي وقرأت تلك الجُمل التي أشرت إليها بعلامة إلى جوارها، وجملة اليوم هي:

"وما أكثر الزُّهاد مُرتدي الخرقة المُلازمين لسجادة الصلاة

الذين بسبب عشقك سكبوا الخمرة فوق السجادة".

لتتعفن في جحيمك وحدك يا عزيزي، فقد تحرر قلبي من عشقك.

الخطاب ذو الرقم المجهول الذي لم ولن أرسله.

غسق.

***

الخطاب السادس:

غسقي،

أعلم أن خطابي هذا سيجعلك تستشيطين غضبًا؛ لأنني عدت بعد ستة أشهر فُراق دون سبب، وكأنني تبخرت، أعلم أنك تصرخين داخل عقلك الآن، وتتساءلين: كيف لي أن أعود وأحادثك كأن شيئًا لم يحدث، أليس كذلك؟!

ولكن تخيلي معي لو أننا في بُعدٍ آخر، لا تعرفيني ولا أعرفك ولا تجمع بيننا لا سماء ولا أرض، تخيلي الآن كيف ستكون حياتك، هل ستكونين أفضل من دون معرفتي أم ستظلين مثلي هائمة على وجهك حتى تجديني؟! هل تعلمين أن كل قرارٍ نتخذه في حياتنا اليومية سواء كان صغيرًا أو كبيرًا يخلق كونًا موازيًا بعدد النتائج المختلفة والمُحتملة

التي قد تحدث جراءه، صدقيني يا حبيبتي، إن الكون قد يخلق ملايين من العوالم الموازية فقط حتى يجمع بيننا مُجددًا.

هذا الجواب ليس لتبرير أي شيء، بل لأخبرك أن حياتي من دونك سيئة للغاية، وأنني سأبحث عنك في كل الأزمنة والأمكنة وسأجعلك تقعين في حُبي مهما كانت الأحوال وحتى وإن لم تتهيأ الأسباب وأنتِ كذلك.

لقد عُدت من غيابي، أين أنتِ؟

شمسك.

***

لمعت عيناي قليلًا وأنا أفكر هل مدة اختفائي ستكون ستة أشهر مثلها، هل بحث عنها في بُعدي، كيف وجدها إذًا، وهل عاد لأنه لم تتهيأ الأسباب لبقائهما معًا.. أم أن الوضع أسوأ من ذلك؟

توجهت للمطبخ لأصنع فنجانًا من القهوة التركية على سبرتاية غسق، لقد كُنت كالطفل الذي يتأمل كُل ما حوله ويحاول إيجاد الاختلافات السبع، لكنني لم أجد الكثير في نهاية الأمر.. رُبما سأكون حرباء في بُعدٍ آخر، ويكون كُل شيء بالاختلاف الذي يُغريني بحيث يمكنني في وقت أن

أتنقل لمختلف الأماكن كي أراقب تغير لوني تباعًا، لكنني الآن هُنا في بيت حبيبتي في بُعدٍ آخر، ويجب أن أستفيد من ذلك قدر استطاعتي، شعرت بالجوع في تلك اللحظات، ففتحت الثلاجة التي تشبه مثيلتها في عالمي لكن ما بداخلها مُختلف، تناولت بعض الطعام، واتجهت إلى البلكون لأتأمل السماء، الأرض والمعمار.. السيارات، فقد كان القمر هُنا يبدو أضخم لدرجة أنه يُمكنك أن تراه بوضوح، وأن تحدد شقوقه بدون حاجة لتليسكوب، كأن هذا البعد هو البُعد الأقرب له.. حتى النجوم كانت بارزة في السماء وكأنها فصوص من الماس تُنير الظلام الكاحل.. وكأننا في قاعة احتفالات والكون بأجمعه يتراقص على أنغام المحبة، يبدو كل مكانٍ هُنا شاعريًّا للغاية وأعجز عن تحديد سبب ذلك، لدرجة أنني أردت أن أجدني مُجددًا، وأن أخلق معي حديثًا، أن أعلم ماذا حدث لي حتى آلت بي الأمور إلى هنا، ليس مرةً بل اثنتان أو أكثر، رُبما أنني أكرر نفس التجربة في نفس البعد حتى أصل لنفس النتيجة مرارًا وتكرارًا.. ولكن ما هي تلك النتيجة؟ هل يستحق الأمر مقامرة القدر؟!

عادت غسق واقتحمت مساحتي.. جاءت بحجة جديدة بالطبع وهي تتودد إليّ بفنجانٍ من القهوة في وقته تمامًا، لكني لا أعلم لماذا ازدادت دقات قلبي من الحماس؟ لفنجان القهوة أم لقبلتها البريئة على جبيني، جلست بجواري وهي

تسألني:

- كيف ترى الخطابات؟

فكرت قليلًا وقلت:

- الأمر يبدو كفيلمٍ للمراهقين حتى الآن.

- هل تعلم أن كل قصص العشق تبدو مثل أفلام المراهقين، ولكن معظم البشر يرفضون تصديق ذلك؛ يقولون إنهم لن يكونوا بذلك القدر من الابتذال حتى يقعا في الحُب فيتبعا الدليل ذاته، هل تظن أن الإغريق جعلوا للحب إلهًا هكذا عبثًا؟ لا بالطبع، فالعشق من أكثر المشاعر قوة وتحكمًا في الإنسان وقراراته، العشق هو بوصلة الإنسان.

نظرت لها بحنين.. وجدتها تتحدث مثل أمي.. فابتسمت مثلما كنت أفعل مع أمي ولم أجادلها، أيمكن أن تجادل أحدًا يؤمن بالخير والمحبة وأن تفجعه بمرارة الحقيقة.. وأن العالم مُتخاذل لدرجة قد تفزع براءته.

- هل تُحبين شمس؟

تجاهلت حديثي عني كشخص غريب كالعادة وردت:

- إن التساؤل أحيانًا ما يكون استهانة بالشعور، فالسؤال بأداة "هل" يبدو متشككًا.. في حين أن الحب شعورٌ وهبة

إلهية ولا يشكك في عطايا الإله إلا شخص جاحد. ولذا فأحيانًا يكون الصمت هو أصدق الإجابات وأعمقها، ولكن بما أنك تتحدث عن نفسك بصيغة الغائب فأظن أنك تستحق إجابة. رغم أنني لو أردت أن أشرح حبي لشمس ستجد أنه الشيء ونقيضه، المحبة والبغض في الوقت ذاته، الانجذاب والتنافر.

- ألا تظنين أن الشك هو بداية اليقين، كيف لكِ أن تتيقني من شيء إلا إذا تساءلت عن مكنونه، فالشك يصل بك إلى الحتمية.

- أتحاول إيجاد مُبررٍ لتساؤلك؟

- إطلاقًا، إن حاولت فعل ذلك فهو اعتراف ضمني مني أنني في موقف ضَعف أو أخطأت بالسؤال، وأنا لم يسبق لي أن وضعت نفسي في كلا الوضعين ولن أفعل، أنا أعلم جيدًا بناءً على الكثير من التجارب أن الشك هو بداية كل اختراع عبقري في هذا العالم.

همست لي:

- يا إلهي!

بينما تنهض من مكانها، وتتحرك ذهابًا وإيابًا، ثم تضع يدها على رأسها حينًا وعلى فمها حينًا. لقد كانت أقرب لمن

يتعرض لنوبة هلع لكنني فضلت المكوث مكاني ومراقبتها قليلًا حتى اقتربت مني وهي تقول بغضب:

- لا فائدة.. لا فائدة يا شمس!

- ماذا حدث؟!

- لا يُمكنني فِعل ذلك، لا يُمكنني إصلاحك مرتين.. أنت دمرتني مرة بالفعل وإن فعلت هذا مجددًا ستكون تلك هي نهايتي، تجعلني أشعر أننا عدنا بآلة الزمن لأربع سنوات سابقة، لا أستطيع أن أخوض كل تلك النقاشات مُجددًا، لا أستطيع أن أجعلك بشرًا مجددًا، أن أجعلك تشعر وتتحدث كي لا تكون مُجرد إنسان آلي.. يا إلهي! لماذا يا شمس، لماذا؟!

- ماذا تريدينني أن أفعل الآن؟

- ارحل، فقط ارحل.. لن أستطيع أن ألدك مُجددًا هذه المرة، سأجهضك وأبكي فراقك دهرًا لكني لا أستطيع مجابهة هذا الرجل الآلي مُجددًا، لم يعد لدي ما يكفي من الطاقة.

- لا بأس، أنا لا أريد أن ينقذني أحدهم، صدقيني فإن هذا ليس من أولوياتي، بل إنني أريد أن أعرف كيف كُنت قبل أن تصلحيني.

- إنك لا تفهم رغم عبقريتك، أنت غير قابل للإصلاح أبدًا،

لقد فسد عقلك لدرجة أنه لا يُمكن لدهرٍ أن يصلح ما أفسده بِك حب الاكتشاف.

- هل تعرفين ماذا اكتشفت بحق؟

- شمس، لأي درجة تظنني حمقاء؟!

- غسق أرجوكِ.

- شمس، لن تجد ما تبحث عنه هُنا، بذلتك بأمان.. تستطيع أن تأخذها عند عودتك.. لكنني بحاجةٍ إلى أن أحيا في عالم خالٍ منك.

- عفوًا أعلم أنكِ تقاومين الإصابة بانهيار عصبي الآن، ولكن هل يُمكنك أن تتحكمي في عقلك وجسدك وتخبريني! فأنا لا أملك الوقت الكافي.

تنفست غسق بعمق وهي تتجه للباب، ثم فتحته في صمتٍ فاتجهت ناحيته كالمجذوب وحين خرجت أغلقته بعنف من خلفي ثم سمعت بداية انهيارها العصبي من صراخٍ وبُكاءٍ.

تحركت وأنا أشعر بتأنيب الضمير.. لكني لا أعلم إلى أين أذهب الآن؟! وكيف سأكمل طريقي؟!

نزلت لأتجول.. قلت لنفسي بعد هذه الدراما غير المفهومة بالنسبة لي :إن هذه قد تكون فرصة جيدة لأتعرف على هذا

العالم حتى تهدأ غسق، إذ قررت أن أفعل هذا حتى الصباح وبالفعل ذهبت لأشتري فنجانًا من القهوة كي يصاحبني لبعض من الوقت، حيث دخلت لمحل يشبه مقهى شهيرًا في عالمي، لكنه لا يحمل نفس الاسم رغم كونه قريبًا منه في التنظيم وشكل أكواب القهوة الورقية، لم أرَ في هذا البُعد أي شيء بلاستيكي، أظن أن السلاحف والكائنات البحرية تعيش هُنا في غاية السعادة..

فكرت مليًا قبل أن أطلب القهوة، ترى ماذا يسمونها هنا ثم تذكرت أن "إسبريسو هي كلمة إيطالية تعني القهوة الطازجة" فشعرت باطمئنان أن أجرب حظي:

- مرحبًا، أريد إسبريسو من فضلك.

ثم فطنت إلى أني لا أملك أي نقود من هذا العالم.. وبادرني الرجل بالسؤال قائلًا:

- ما اسمك؟

- شمس.

ثم اعتدل وجاء بماكينة تشبه ماكينة الفيزا خاصتنا، لكنه وضعها أمام يدي ووجدت مكانًا مخصصًا للإبهام، فحاولت أن أتماسك مدعيًا فهم ما يحدث، وضعت إصبعي الإبهام فوقها.. فتمت العملية بنجاح دون تعقيد.. فبصماتنا أنا

وشمس بهذا العالم واحدة بالتأكيد.

- استمتع بقهوتك.

قالها النادل وانصرف..

أصابتني فرحة شديدة وقد استمتعت بالقهوة بالفعل، ثم فكرت أنه يُمكنني استغلال شمس قليلًا حتى أجعله هو من يجدني ويترجاني كي أتوقف عن تبديد أمواله.

نظرت حولي. بدأ الناس يستعدون للذهاب إلى أعمالهم لكنني لاحظت أنه لا يوجد سيارات في الصباح، وإنما يركبون العجلات فحسب فنظرت حولي أراقبهم في صمت حتى وجدت صوتًا يُخبرني قائلًا:

- في هذا البُعد يوجد قانون إنه في ساعات الذروة ممنوع أن يستخدم الناس سيارتهم، ومن يفعل ذلك تؤخذ منه، ليس عامة الشعب فحسب بل الجميع وفي أي مستوى، حيث يُمكن أن تجد رئيس حكومة يسير مع حرسه في موكب من العجلات، وهو ما أعتبره أمرًا في غاية الآدمية..

نظرت لشمس هذا البُعد، فشعرت بالانتصار لأني دفعته للمجيء إليّ.. فوجهت حديثي إليه وأنا أتساءل:

- أهلًا يا صديقي، ماذا تفعل؟ ألا تخشى أن يروك مع

مجذوب المدينة؟

- أرى أنك بدأت تبدد في مال ليس مالك!!

- لو أن هُنالك تشابهًا بيننا فهو أنني لا أهتم بما يعتقده الناس أيًّا كانوا.

- كيف عرفت أنني هُنا؟

- ألا يُمكنك توقع أنه بمجرد أن تسحب المال، سأعلم أين ولماذا تم سحبه؟

- بلى ولكن كُل شيء هُنا يسير رأسًا على عقب..

ضحك شمس وهو يُكمل:

- ألا تتذكر كيف أصابتني نوبة هلع حين رأيت الاختلافات في بُعدك عن هنا؟

- أتذكر ماذا؟! إني لا أذكر أني رأيتك هناك من الأساس ولم أكن أعلم أنك فعلتها من قبلي..

وضع يده على رأسي وهو يقول:

- وإن كُنت لا تتذكر! هل ترمي بنفسك في التهلكة من أجل تجربة لا تعلم إذا ما كانت ستنجح أم ستفشل، الحقيقة هي أن لاوعيك يدرك أنك فعلتها من قبل، يدرك أن الأمر ممكنٌ

بالفعل؛ ولهذا السبب كان يقوم بتحفيزك على فعلها لأعوامٍ.

- لماذا لم تكرر التجربة؟

- لقد جئت لك بنفسي، لكني لن أحرق لك النهاية، ستكتشف كُل شيءٍ وحدك.

- هل يُمكن أن تستضيفني عندك بالمناسبة؟

- ماذا حدث مع غسق؟

- يُمكنك أن تقول إنني كُنت السبب في إصابتها بانهيار عصبي.

- هل اكتشفت أنك لست أنا؟

- أظن ذلك لكنني لست متأكدًا، إنها في غاية الذكاء ورغم أنني لم أحاول الادعاء بأنني أنت إلا أنني كُنت أحاول أن أدفعها لاكتشاف ذلك.

- بل كُنت تدفعها لكي تعرف ماذا تعلم بشأني.

- رُبما.

- بل أكيد.

- كيف اكتشفت كل هذا من قبلي إذًا؟

- لأنه جاءني شمسٌ ثالث.. من بُعد آخر.

لمعت عيني وأنا أصرخ:

- لا تمزح.

- بلى، يوجد شمس آخر ولكنه في بُعدٍ به جاذبية أرضية أقل مما يمكنه من الطيران، لقد عانيت معه من قبل لكي يتعلم كيف يستخدم قدميه، كان كالطفل ولكن في السادس عشر من عُمره.

ظللت أصرخ وأرقص من السعادة:

- ولكن كيف عرف هو كيفية التنقل بين العالمين؟!

- لا أعلم، رُبما زاره آخر من بُعدٍ مغاير.

- كم شمسًا قابلت منا؟

- عددٌ لا بأس به.. الأبعاد الموازية لا نهائية.. مثلها مثل الاحتمالات كما تعرف بالتأكيد.

- كيف تتحدث عن ذلك بهذا الهدوء يا رجل؟! وكأنك تقول لي إنك أكلت معكرونة أرجوانية اليوم!

- هل تعلم أنني كُنت مرتعبًا حين تذوقت المعكرونة بالصوص الأحمر عندكم، لقد ظننه دماء بشرية.. كيف تفعلون ذلك؟!

- هل وجودي هُنا يزعجك؟

- لقد أزعجني في البداية بالفعل لأنك ذكرتني بكل ما أحاول نسيانه، ذكرتني بصداقتنا المؤقتة وكيف عانيت.. وكم حاولت أن أجدك مُجددًا، لكنني تعلمت درسي بالطريقة الصعبة.

- لن أحاول معرفة ماذا حدث، ولكن إن كان ما أخبرتني به بخصوص لا وعيي الذي جعلني أفعل كل هذا، فالأمر يعني أن الغرض في النهاية ليس إلا لقاءك مجددًا!

- لقد تأخر الوقت، دخلت الشمس في البئر يا صديقي.

- أمّنا كانت تقول هذه الجملة دومًا.

- أمنا؟!

تحشرج صوته قليلًا وهو يُكمل:

- لم أكن بالحظ الكافي لأعرف ما هو شعور الأم هُنا، حين وجدتها معك. ووجدتك بين ذراعيها. زاد سخطي على عالمك.. أعلم أنك تُفكر أني هُنا لدي أب وأخ أيضًا.. لكن صدقني لا يوجد ما يضاهي مشاعر وجود الأم، فما أحسسته معها في ساعاتٍ معدودة من عُمري لا زلت أتذكره.. بل وأغفو على صوتها وهي تغني "تأخر الوقت، تأخر الوقت..

فقد دخلت الشمس إلى البئر"، ولهذا لا تنبهر بقشرة الأمور الخارجية يا صديقي.

- كفاك جدالًا!! أنا أسعى للحقائق فحسب.. لاكتشاف أسرار الكون.

ضحك شمس هذا البُعد ساخرًا وهو يقول:

- أنت كاذبٌ كبير، أنت تريد كل شيء.. تريد النجاح ومعرفة أسرار الكون وأن تكون أعظم عالم في الحقبة الحديثة، العالم الذي اكتشف المستور والخبايا.. تُريد أن تقع في العشق وأن يكون لك أم وأب وإخوة.. أنت مراهق للغاية، كيف تتوقع من الدنيا أن تكون جنتك.. نحن لا نحيا بالأحلام والخيالات الواهنة.

قلت بصوتٍ مسموع:

الاستنتاج السادس: شمس هذا البُعد جبان وتزعجه شجاعتي.

نظر لي في غضبٍ ملحوظ وهو يقول:

- هل كتبت في استنتاجاتك الحمقاء أيضًا أن خراب العالم سيكون بسبب عالمٍ أحمق سيدمر خط الزمن؟!

- بل إن هذه مخاوف شخص أحمق يخشى التغيير، سترى

كيف أن العالم سيكون مكانًا أفضل.

- ينهشني فضولي، كيف ستتمكن من إصلاح الأمر في النهاية؟! وهل يمكنك فعل ذلك حقًّا أم أنها ذريعة الانتصار الزائف لديك فحسب؟!

***

تحرك الشمسان في اتجاه المجهول، يسعى كلاهما إلى جعل العالم مكانًا أفضل من منظوره الخاص، ولكن ماذا لو أن كل الاحتمالات جائزة، ماذا لو أنه يُمكن أن يحدث كلا الأمرين؟! ماذا لو أن خط الزمن يُمكنه تحمل تهور شمس البُعد الأول ولو أن العالم ليس بالهشاشة التي يظنها شمس هذا البُعد؟! لكنه قد يكون على حق أيضًا.. أحيانًا يُمكن أن تكون العواقب وقعها أشد وطأة من الحدث ذاته.. فهل يستحق الأمر المجازفة والعبث بتوازن العالم، الحقيقة قد تبدو عادة أغرب من الخيال.. والواقع أكثر عبثًا من القصص.. إن شمس هذا البعد يؤمن أن حاسة النظر هي مصدر ثقتنا في العالم، وأنه علينا رؤية الأشياء لتصديق وجودها وفهمها، بينما يؤمن شمسنا بأن الحقيقة هي كل ما لا يُمكننا لمسه، كل ما هو فانٍ ملموسَ، وكل ما هو خالد معنوي غير مادي، فالله غير مرئي وهو أهم حقيقة في هذا العالم وأعظمها، الموت

غير مرئي وحدوثه حقيقة واجبة، الحُب معنوي وهو أقوى شعور قد يختبره الإنسان، شعور يحوله إلى كتلة من الحماقة المتحركة حتي ولو كان عبقريًا وأعظم فزيائي في المجرات أجمعها، يدمر ذكاءه أمام عينيها مثلما تتدمر الفيزياء وقوانينها في وجود الخُفر السوداء.. إن الماديات هي نصف الحقيقة، نصف الحرية ونصف الخيال.. ووحده من يؤمن بالخيال يُمكنه اكتشاف خبايا الكون؛ ولذلك فقد خُلق التأمل.. خُلقت الكوارث الطبيعية لتستفز فضولك نحو الاكتشاف، الفضول الذي زرعه الله بداخلنا وسخرنا جميعًا لإعمار الأرض هو محركنا لمعرفة كل شيء عن كل شيء.. فمن الذي علّم الإنسان البدائي ما كان يفعله؟! من علّم العصفور أن يستيقظ ويفعل ما يفعله كُل صباح؟! من علمه كيف يبني عشه؟!.. قد خُلقنا جميعًا بقاعدة من البيانات المحفوظة وكأننا مررنا بنوع من البرمجة المعلوماتية بداخل عقولنا الصغيرة.. يؤمن شمس أن الله لم يخلق بداخل الإنسان أفكارًا إلا إذا كانت جائزة الحدوث.. لأن "لا شيء يولد من لا شيء" وقد كان هُنالك فيلسوف يُدعى بارمينيدس يرى أن كُل ما هو موجود قد وُجد من الأبد، كُل الاحتمالات الجائزة في عقل العلماء ما هي إلا حقيقة لم نكتشفها بعد.. كُل ما علينا هو السعي لاكتشاف حقيقة الوضع وبذل ما يُمكننا بذله في إثبات

ذلك علميًا..

ظل شمس يفكر في كل ذلك، بينما يتبع نُسخته الأوسم ويتأمل الطريق والحياة المختلفة في هذا البعد.. وأخذ يتضاعف بداخله شعور من الرهبة والهيبة لعظمة الخالق حتى وصلا إلى بحيرة بها عدد من العوامات السكنية.. أعجبه منظرها بشدة وأمام إحدى العوامات تحديدًا ذات المدخل المميز توقف.. كانت عوامة تشبه المنزل العائم.. وكانت تحديدًا ما يحتاجه شمس كي يبقى بين أحضان الطبيعة مثلما يريد.. فنظر لشمس الآخر وهو يقول:

- هل يُمكننا أن نستأجر تلك العوامة؟

فبادله النظرة باستنكار:

- لماذا؟ ولماذا هذه العوامة تحديدًا؟!.. هناك العديد من العوامات الأخرى!!

- لا أعرف لِمَ هذه تحديدًا.. شيء داخلي يقول لي إنها ما أحتاج.. وأريد أن أكون مع نفسي لأكبر قدر ممكن من الوقت.. لقد جازفت بكل ما لديّ لأستطيع القيام بتلك المخاطرة، جازفت كي أكون معك هُنا، ولهذا فأنا لست مستعدًّا لتضييع المزيد من الوقت في الحصول على مساعدتك.

- لكنك بحاجةٍ لي.

- هل كُنت عونًا لك حين سافرت لبُعدي؟

- لا يُمكنك أن تقارن الحالتين معًا، فأنت جازفت بجهلك، أما أنا فعلى علم بكل شيء قد يحدث.

- إذًا استأجرها لي واعتبر أن هذا فراقٌ بيني وبينك.

نظر شمس هذا البُعد في خيبة أمل واضحة وهو يتجه لمكتبٍ يقبع في دورٍ عالٍ بدون أي سلالم أو مداخل خلفية.. ولكن بمُجرد من اقترابهما من البوابة تم رفع الجزء الذي كانوا واقفين عليه من الأرض إلى أعلى للبوابة.

دخلا ليسألا هناك عن سعر إيجار العوامة لأسبوعٍ كامل شاملًا الوجبات، وقد اتفقا بالفعل على سعرٍ مناسب.. دفع شمس هذا البعد الحساب.. ثم دخلا إلى العوامة.

****

شمس العالم الأصلي

كانت جدران العوامة مطلية باللون الأزرق الذي يتناسق مع تلك البحيرة، والتي لا أعلم إن كانت صناعية أم طبيعية لكنها تبث السكينة في قلبي وكأنها الشيء الوحيد الذي يبدو مألوفًا بالنسبة إليّ.. وجدت طاولة في مدخل العوامة ومن حولها ثلاثة كراسي فقط، أما في الخارج فكانت تتواجد شجرة أستطيع تخمين أن ثمارها هي برتقال من رائحتها، وقد كانت العوامة تبدو أصغر من الخارج إلا أن مساحتها لا بأس بها حقًّا، فعلى الرغم من قلة أثاثها إلا أنها تغطي كل ما يحتاجه المرء في بيته.

تحركت في ثباتٍ وكأنني أعرف حدود المكان جيدًا، رُبما تكون تلك العوامة ملكي في عالم آخر.. فقد كان هُنالك شيءٌ يقودني إلى هنا، شيءٌ لا أعلم ماهيته لكنني سأتبعه بكل تأكيد.

كان هناك موقد قديم للنار.. ويبدو أن هذا المكان لم يكن مهجورًا لوقت طويل، على الطاولة يوجد بعض من الأوراق وآلة كاتبة وبعض الكتب وأقلام كثيرة، وكنت كُلما تحركت في المكان وجدتُ ما يُثير فضولي؛ حيث إن بعض الجدران كانت مغطاة بورق جرائد وعلى الحائط برواز لصورة قديمة تعكس شكل العوامة من قبل.. ومن ثم يوجد باب يقود

للمطبخ.. إلا أنه كان صغير الحجم وتتواجد بداخله بعض من الأطباق والكئوس المتراصة، ظللت أتأمل المكان بينما كان صوت شمس والرجل في الخلفية يتحدثان ويشرح له أن المستأجرة السابقة للعوامة رحلت فجأة.. وأنهم كانوا سيعرضونها للإيجار لاحقًا لكننا محظوظون للغاية؛ لأنه يتبقى أسبوع واحد فقط على بداية الشهر الجديد.

أخد الرجل يثرثر عن كون الناس لا يحبون الاستئجار في نهاية الشهور، بل يفضلون بدايتها، وأنا أفكر أن تلك هي سذاجة البشر في المُجمل، يظنون أن البدايات دومًا أكثر بهجة من النهايات مع أن النهاية ما هي إلا بداية جديدة، حتى الموت ما هو إلا مرحلة جديدة من حياةٍ لا نهاية بها.. مرحلة برائحة الذكريات والدروس التي لم نرغب أبدًا بتعلمها ولكن لسببٍ ما يظن القدر أننا بحاجة إلى خوضها.. رُبما لا يخافون النهايات بقدر ما يخافون البدايات ولذلك يقدمون لها قرابين الولاء والطاعة، يقدمون لها كُل هو مُميز على أمل أن تهبهم أقدارًا أفضل، يشعرونها أنها هي اختيارهم الدائم بدلًا من تلك النهايات المُحملة بغيوم الذكريات حتى تُمطر ندمًا.. إن البدايات هي اختيارهم في حين أن النهايات هي أقدارهم.

انتهى شمس من كلامه مع ذلك الثرثار والآن بقينا معًا..

لقد ذكرني هذا بدورة جلد الذات في كل ليلة، لكن الجلاد هذه المرة هو رجل من لحمٍ ودمٍ.. رجل ينظر لي وكأنني على وشك تدمير العالم، في حين أن كُل ما فعلته هو محاولة العثور على بقعة لنفسي في هذا العالم، إن الإنسان يُحب أن يتذكره الآخرون بعد انتهاء رحلته.. إما أن يكون لديه أسرة تبكي فراقه دمًا، أو أن يكون إنسانًا جيدًا للغاية فيقتدوا به دهرًا أو حتى إنسانًا سيئًا تستغل سيرته في تهديد الأطفال وإخافتهم من فطرتهم الخبيثة كي لا يصبحا مثله، أما أنا فلا أملك سوى العلم، وحده من يتقبلني دومًا، من يقبلني بكل محاولاتي ونمطي المتكرر المُميت الممل على أمل أن يتحقق رجائي.. ظلت الأسئلة تركض في عقلي هكذا، الكثير من الأسئلة والكثير من الأفكار المتناقضة التي تسير مثل قطاع من الماشية الثائر..

حاولت الاستقرار والمكوث في مكانٍ ما، بينما يتأملني شمس هذا البُعد ويتأمل حماقتي - على حسب قوله - من بعيد، إذ كان يضحك بينما أكتشف المكان وأحاول معرفة كيف انتهى بي السبيل هُنا.. لكنني بالطبع لا أتوقع أن يحدث هذا بسهولة.. أخذني النوم بعد ذلك لبرهة ثم صحوت ثم أخذني النوم مرة أخرى وهكذا دواليك.. ثم خرجت إلى الشرفة أنظر إلى البحيرة والقمر الذي يبدو أقرب لي مني في الوقت الراهن.. بينما أستطيع رؤية شمس هذا البُعد

يسند رأسه بيده ويُحدق في اللاشيء، ورغم أنني أعجز عن رؤية ملامحه، إلا أنه يبدو مشوشًا وأستطيع تخمين السبب.. تحركت تجاهه بفضول القط وأنا أسأله:

- هل وجدت ما يُثير إعجابك أكثر من غسق في بُعدي؟

حرك رأسه ونظر تجاهي، وكأنه فقد توازنه بمُجرد ذكر اسمها؛ إذ يمكنني سماع تغيُّر تردد أنفاسه وحركته الفجائية بينما يأخذ نفسًا عميقًا ويحاول ادعاء أنه يتنفس بهدوء، راقبت تغيراته الفسيولوجية ورأيت وقع اسمها عليه، فما بالك بحضورها؟!

- هُنالك دائمًا ما قد يُثير إعجابك أكثر، الفكرة ليست في حجم الإثارة بل في مُدتها.. لقد وقعت في حُب الاكتشاف والعلم والمغامرات ووقعت في حُبها أيضًا، لكن الفرق أنني فقدت شغفي بكل ما سبق عداها.. حيث يُمكن أن تُثير إعجابك أغنية أو فيلم ثم تفقد الشغف برؤيتهما مرارًا وتكرارًا، أما غسق فهي الوحيدة التي كُلما رأيتها كلما زاد شغفي وانبهاري بها.

- لماذا انفصلتما إذًا؟!

- في الكثير من الأحيان لا يكون سبب الفراق شجارًا ضخمًا، بل هي تلك الأشياء البسيطة الصغيرة التي تسلب

الراحة والسعادة والطاقة.. تلك الأشياء التي تستنفذ الرصيد وتتركك بلا رغبة ولا طاقة لإنقاذ ما تبقى منكما. لا يمكنني تخمين المشكلة بحق، ولكن الشخص حين يشعر بالاستنزاف قد يودي الأمر بعلاقته؛ لأنه لم يتم احتواؤه بالشكل المطلوب، أو لأنه تم التغاضي عما يريده حتى لو كان شيئًا بسيطًا للغاية كمنحه كوبًا من القهوة، وبناء عليه فإن كُل هذه الأفعال البسيطة تُترجم في عقله على أنها عدم تقدير وعدم احترام.. هذه هي القاعدة يا صديقي، لا ينفصل العُشاق بسبب الخيانات فقط.. وإنما أحيانًا لأن رصيد التحمل فيها قد نفد.. وذلك الشعور يكون وقعه على الروح أكثر من الخيانة إن لم تحضر مشاعر السكينة والمودة والرحمة في المقابل..

- أليس الحب أقوى من كُل هذه العراقيل؟!

- مهما زاد مقدار الحُب قد تحتاج أحيانًا إلى وقت مستقطع تبتعد فيه لكي تقلص المشكلات ويبقى الحب وحده كبيرًا.. الأمر مثل وضع المحبين في غربال، فمن كان حُبه ضئيلًا تنتصر المشكلات عليه ويتلاشى الحب، ومن كان حُبه كبيرًا فسيزيده البُعد محبة واشتياقًا ولهفة، حتى يعود راكضًا تاركًا خلفه كُل ما جعله يرحل في المقام الأول.

- هذا يعني أن الأمر ما هو إلا استراحة مُحارب إذًا؟

- بلى.

- لماذا إذًا تدعوه فراقًا؟

- لا يوجد بين المحبين فراق، هي من تظن أن باستطاعتها الابتعاد عني.

- ألا يُمكنها ذلك؟

- لا يُمكنها طالما أنني لم أسمح بذلك، أنت تظن أنني أنحت للفن لكنني أنحت لأعاند الحياة، فأنا أصنع ما أشاء، أنحت ما بخيالي.. فيُمكنني أن أجعل العينين بلون الغيوم، والوجوه مثلها مثل الثعالب والألسنة ثعابين واللحية كلهيب النار، يُمكنني أن أنحت الحياة والموت، أنحت اللقاء والفراق.. يُمكنني أن أصنع نسخًا منا مرارًا وتكرارًا كُلما أجهضنا القدر.. لا نهاية لنا طالما أن قلوبنا لا زالت تزهر بنبتة المحبة، لكل ربيعٍ خريفٌ، ونحن الآن في خريفنا نعاني من طقسٍ مُلبد بالغيوم وعواصف الكبرياء المُدمرة فحسب، لكننا سننجو وستنبت قلوبنا نبتة الوصال من جديد؛ لأن جذورنا متحدة بالفعل.

- إنها لا تود الرحيل أو الفراق حقًّا، من يود الرحيل لا يُمكن أن يمنعه شيء، على عكس من يرغب في البقاء فهو من يتعلق بقشة حمقاء على أمل التغيير، لقد قضيت وقتًا لا بأس

به مع تلك الفتاة.. وأستطيع أن أقول إنها قد تركض ناحيتك أميالًا حافية القدمين على يقين أنه لا شفاءَ منك إلا بك، فأنت علتها وشفاؤها.. هه! وتدعوني أنا بالأحمق في نهاية المطاف! لا يوجد أكثر حماقة من رجلٍ لا يستطيع الحفاظ على فتاةٍ تهواه رغم أنه مُتيم بها بذلك القدر.

- وماذا تعرف أنت عن الحُب لكي تدعوني بالأحمق؟!

- لا أعرف الكثير عن الحُب لكنني أعرف الكثير عن الفقدان، ولكن صدقني يُمكنك أن تعرف الكثير عن شيء ما من خلال تجربتك للنقيض منه.. وأنا أعرفك لأنني أمثلك بكُل تناقضاتك.. إنك لن تستطيع تحمل فقدانها مهما بدا لك الأمر سهلًا.

ضحك باستهزاء بينما يقول:

- يبدو أن عملية إصلاحك كانت أسهل من إصلاحي كثيرًا، لم تأخذ بيدها وقتًا.

ابتسمت وأنا أتذكر إيما وكيف أنها عاثت بي فسادًا وبارت على الأخضر واليابس في قلبي.. وأدركت أن هُنالك شيئًا مُشتركًا بيني وبين غسق، كلانا يُحب أحدًا لا ينتمي إليه، وما أصعب شعور الحُب بلا انتماء!!ذلك العشق الذي يجعلك تجوب الشوارع باكيًا راجيًا أن ينتزعه الله منك

حتى تستطيع أن تعيش بصورة طبيعية، أن تأكل وتشرب وتحتسي فنجان قهوتك دون أنين.. أن تتفاعل مع البشر دون الرغبة المُلحة للاختفاء.. كلانا لا مفر لنا، وكأننا دخلنا في إحدى متاهات الزمن والأقسى من هذا أننا لا نريد الهرب منها، ولكن لا أحد يمكنه فهم الحب بدون أملٍ، فهم شعور أن تحب أحدهم لأنه ليس لديك القدرة على فعل العكس... ها أنا شمس عدو الحُب الأول أصبحت واقعًا في العشق من رأسي حتى أخمص قدمي، ولا يُمكن لأحدهم أن يسحبني من دوامة المحبة التي علقت فيها..

استعدّ شمس هذا البُعد للرحيل بعدما أثار كلامي عقله وأدخله في دوامة من التفكير، فقد كان يبدو وكأنه يركض سعيًا لأميال في داخله كي يصل إليها.. تركني بعدها بين ذكرياتي التي آمل أن تحدث، وبين جلدي لذاتي على ما حدث منها بالفعل، فقد تذكرت يوم لقائي مع إيما حين تحدثنا أخيرًا، لقد كُنت مراهقًا وسيمًا لكنه لا يُبالي بأي شيء.. وكانت هي فينوس(8) ، ببشرتها البيضاء وشعرها الأشقر.. وعينيها الشقيتين اللتين يجعلانك كالمجذوب تفعل ما تأمرك به.. كانت ضعيفة في مادة الرياضيات في الثانوية العامة وبالطبع لم يكن هُنالك سواي كي يساعدها بتلك المعضلة ويضمن لها نجاحًا منقطع النظير.. وبالفعل بدأت

في مساعدتها حتى تقربنا من بعضنا البعض أو هكذا ظننت؛ لأنها ربما تكون قد أرادت المساعدة فقط.. إذ كُنت أنا ضمان التحاقها بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية مثل أبيها وأمها وشقيقيها. كما كانت تريد أن تثبت لهم أنها ليست أفشل من بالعائلة، وبسذاجتي كمراهقٍ كُنت أظن أنه يُمكنني تغيير سبب تقربها مني إن تعرفت عليّ جيدًا.. لكنها كانت أول من يثبت لي أن واحد زائد واحد ليس بالضرورة أن تساوي اثنين، وإنما يمكن أن تساوي صفرًا أو عشرة، عشرة لأني كُنت أحبها من طرف عاشر وصفر.. لأني لا أساوي شيئًا لها..

انتشلني من ذكرياتي صوتٌ بالخارج.. فتحركت تجاهه لأتفاجأ.. وكأن لا شيء في هذا العالم يمكن اعتباره صدفة أبدًا، كُل شيء يحدث لسببٍ.. ورغم أنني كنت على يقينٍ من ذلك إلا أن الكثير من الأشياء التي حدثت معي سواء ما اخترته بنفسي أو ما حدث تباعًا جعلتني مشوشًا للغاية، لا أعلم كيف يُمكنني التمييز بين ذلك وذاك.. لقد وجدتها أمامي، ها هي غسق تجد طريقها إليّ مجددًا، نظرت لي في تشتت وهي تقترب:

- أنت المستأجر الجديد؟

- يبدو كذلك.

- هل كُنت تعلم أنني أمكث هُنا؟

- لا أعلم.. رُبما.

- ألن تنتهي ألاعيبك أبدًا؟

- أقسم لكِ أنني لم أكن أعلم، فقد كُنت أتكسع بالقرب من هُنا حين رأيت تلك العوامة شعرت بشيء يسوقني لها، على كُل حالٍ ماذا تفعلين هُنا؟

- فقدت شيئًا خاصًا وكُنت أحاول تأجيل البحث عنه لأيامٍ؛ لأنني لا أعلم حقيقة شعوري حياله بعد، ولكن حين أخبرني الرجل أنه تم تأجير العوامة رغبت في استعادته.

- هكذا الإنسان يشعر بقيمة الأشياء فقط حين يكون على وشك فقدانها.

اقتربت مني، فهمت الآن لماذا كان شمس الآخر متعجبًا من رغبتي في استئجار هذه العوامة تحديدًا.. كان يعلم أنها من استأجرتها بعده..

اقترب مني أكثر ثم شعرت بدفء يديها على رأسي وهي تقول:

- يا إلهي.. لم أفتقد جنون العظمة لديك وتضليلك للواقع أبدًا.

قلت لها:

- يقول "إميل سيوران": (فقط لدى أولئك المحرومين من الإيمان فائض من الذاتية يقودهم إما إلى جنون العظمة أو احتقار الذات، الكثير من حب النفس أو الكثير من كراهية النفس، وفي كلا الحالتين تستنفد نفسك سابقًا الزمن).

ثم تابعتْ قائلًا لها:

- الذاتية تجعل منك إما إلهًا أو شيطانًا. وحاشاني أن أكون الاثنين.

- ماذا عن جملة تضليلك للواقع أيها الفيلسوف أليس لديك تعليق عليها؟!

- عزيزتي عليكِ أن تدركي أن الجاهل يؤكد والعاقل يتروّى والعالم يشك.. كُل ما ترينه في الواقع ليس كما يبدو لكِ، وإنما هو نظرتك السطحية فحسب.

- كُنت أتمنى أن أكمل تلك المحادثة الفلسفية الشيقة، لكنني يجب أن أجد ما أبحث عنه وأرحل قبل أن أقتلك.

- هل يُمكن قبل أن تقتليني أن تساعديني.. أريدك أن تصطحبيني إلى متجر بقالة، أريد شراء بعض الأشياء.

نظرت لي في تشتت؛ إذ إنها هددتني بالقتل منذ لحظاتٍ والآن تفكر في مساعدتي لشراء بعض الحاجيات.. إن توترها

جذاب جدًّا في الحقيقة، ولذا فأنا أحب أن أشتتها..

دخلت بعدها إلى الغرفة تبحث عما فقدته، بينما أخذت أتأمل المنزل بنظرةٍ مختلفة الآن، بعدما علمت أن تلك الآلة الكاتبة ملك لها، الورق والكتب.. ما الذي جعلها تترك المكان على عجلةٍ من أمرها هكذا، هل كانت تهرب؟!.. ممن تهرب؟!.. هل تهرب من شمس نفسه أم أنها تهرب من شيء ولا تريد أن تواجهه به؟!

عادت فسألتُها:

- هل وجدتِ ما تبحثين عنه؟

- نعم.. شكرًا لك.

- أيمكنني رؤيته؟

- لا، إنه شيءٌ خاص.. يُمكنك أن تستعد للذهاب فحسب، وبتلك الطريقة تكون قد ساعدتني وساعدتك وانتهى الأمر.

- لما أنتِ مُرتبكة؟! أهُنالك شيء لا تريدينني أن أراه؟

- ولماذا تهتم؟ بل لماذا سأهتم أنا بأن تراه أم لا؟ هل تتذكر أي شيء؟!

- لا.

- إذًا هيا، وتذكر دومًا أن تُحكم إغلاق الأبواب لأن القطط تدخل إلى مطبخ العوامة من البوابة الخلفية.

تحركنا بالفعل وركبنا سيارتها، ثم بقيت أراقب الطرق وأماكن انتظار السيارات وسلوك الأفراد.. إذ يبدون أكثر تحضرًا ونظامًا، كما كانت الطرق سلسة فالكثير منهم يركب العجلات والبعض الآخر في سياراتهم لكن هناك سيولة مرورية وفكرية واضحة بينهم.. وصلنا إلى المتجر، والذي كان كبيرًا واسعًا مقارنة بعالمنا.. وقد كُنت متحمسًا للتبضع كطفلٍ في الخامسة من عمره، كُلما رأيت شيئًا غريبًا وضعته في عربتنا، وكانت هي مثل أم صبورة تضحك حينًا وتتذمر حينًا، تعرفني على الأشياء وأسمائها وتسخر من جهلي.. لكني استمتعت لدرجة غريبة لم أصل لها من قبل.. لم أكن أود الرحيل، جلبت كل ما أريد وما لا أرغب فيه.. ولكن على سبيل الفضول.

تركت روحي للعشوائية اليوم دون تدوين كُل شيء، ففعل الاستمتاع باللحظة هو ما يجعلها عالقة في الذاكرة.. قضينا ساعاتٍ ونحن نتبضع ونضحك ونلهو، بينما شعرت بذلك الطفل الدفين الذي كان يطاردني ويسرق من روحي بداخلي وهو يصرخ مرحًا لأول مرة منذ أعوام، لا أعلم من منا قد ظلم الآخر، هل أنا من جعله يعجز عن الشعور بصباه فبقي

طفلًا للأبد يسعى للحرية بعيدًا عن الأرقام والحسابات أم هو من ظلمني برغبته المُلحة في الركض واللهو وعصياني ومحاولاتي الدامية في ترويضه؟.. لا أعلم ولكننا وجدنا أرضنا المُشتركة لأول مرة، لأول مرة نشعر أن العالم مكان يتسع لكلينا، لا يجب على أحدنا أن يقتل الآخر ليجد موضعًا لقدميه! انتشلتني غسق من شرودي وهي تقول:

- أتعلم أنك لطالما كُنت داخل روحك وخارج العالم.

- كيف؟

- أعني أنك دائمًا ما تبدو شاردًا في حوارات مع ذاتك، مُتعمقًا في ثنايا روحك تناشد أعمق بقعة فيك.

- كانت أمي تقول لي دومًا: "العلم الذي لا يأخذك أبعد من ذاتك هو علم أسوأ من الجهل".

- ألم تخض في ذاكرتك حديثًا غير علمي من قبل، كُلما حدثتك عن أي شيءٍ ينتهي بي المطاف أن تحدث مع العالم الذي بداخلك.. ماذا عن الرجل الذي بداخلك، كيف يشعر؟

- لم يكن لديّ وقتٌ أبدًا لأتساءل كيف أشعر؟ وماذا أريد؟.. لطالما بدوت كأنني في مهمة يجب إتمامها.. ويومًا بعد يوم تمكنت من ذلك، والآن أنظر حولي لأجدني داخل روحي وخارج العالم.. أكتشف كُل شيء وكأني طفلٌ في الخامسة

من عُمره.. كُنت أظن أن تلك الرحلة ستكون لاكتشاف العالم، وإذا بها لاكتشاف نفسي.

- وكيف ترى نفسك؟

- كُلما تعمقت بي كُلما أحسست أنني لستُ شيئًا، لستُ شيئًا...

تحركنا في صمتٍ، بينما أظنها غارقة في محاولة تحليل حالتي النفسية ومقدار تشابهي بحالة شمس هذا البُعد حين تقابلا.. في محاولة إيجاد طريقة لإصلاحي من جديد.. تلك هي بذرة الأمل الحمقاء التي يضعها الحُب في قلوب روّاده، إنها فتاة ساذجة ولكن لنرى إن كان بمقدورها مصالحتي على ذلك الطفل الذي يركض داخل روحي.

وصلنا إلى عوامتي من جديد، وضعنا الأشياء في موضعها وجلست هي في التراس أمام البحيرة تتأمل المنظر وكأنها تفتقده لأمارس هوايتي المفضلة في قطع صمتها متسائلًا:

- لماذا تركتِ العوامة؟

- لا يوجد سبب واضح.. الأماكن لا تساعدك أحيانًا على التخطي، كُلما استقريت بمكانٍ تجد أنه لن يكفي ماضيك، لن يحتوي آلامك.. لن يضمن لك استشفاءك، فتظل تتنقل بحثًا عن مكانٍ يُمكنه احتواء كُل ندوب ماضيك التي لن تُشفى.

لذلك أقضي الكثير من الوقت في المنزل والمكتب.. لا أمكث في مكان واحد طوال الوقت..

- علميًّا.. لا يوجد جرح لا يلتئم يا عزيزتي.

- يلتئم نعم.. لكنك لا تتخطاه، فحتى جروح الجسد تترك خلفها ندوبًا تذكرك بها كلما رأيتها، تذكرك بموعد وسبب وكيفية حدوثها وبمن كان معك حين حدثت وساعدك على تخطي الألم، أما جروح الروح فتترك ذاكرةً مُتأججة لا تُشفى ولا تتخطى، ذاكرة من حُمم تضرم النيران بك كُلما سنحت لها الفرصة.. علميًّا لا يوجد خلاص من ذاكرتك يا عزيزي وإلا تصبح رجلًا بلا هوية مثلما أنت الآن، تائهًا لا تعلم من أنت وماذا عليك أن تفعل، رجلًا هائمًا، لعلك تجد ما يشعل بداخلك تلك الحمم التي تذكرك بما أنت عليه الآن.

لم أرد أن أخيفها ولكنني متيقن أنها تهرب من شيء ما، لم أرغب في السؤال كي لا تهرب مني مُجددًا، إنها تُعاني وذلك الأحمق غير منتبه، يظنها تهرب منه هو، وكأنه محور العالم! لو يعلم هذا الأحمق أنها ترغب في الهروب به وليس منه!.

استعدت غسق للرحيل وهي تخرج من حقيبتها مفتاح سيارتها وكانت تلتفت حين وجدت حقيبتها وقد وقعت منها ورقة لم أحاول لفت انتباهها إليها، إذ رغبت في قراءتها أولًا.. نظرت لي مطولًا بعد لحظات وكأنها تودعني لتركض الأحرف

من فمي:

- لا تنظري هكذا، أنتِ قدري.. لن يفرقنا شيءٌ.

ابتسمت بينما ترحل فبقيت أراقبها لأتأكد من رحيلها ثم ذهبت لالتقاط تلك الورقة وبدأت في قراءتها.. لم تكن ورقة عادية.. كانت أقرب إلى فاصل كتب مميز يستخدم في القراءة.. وكان مكتوب عليه بخط منمق جميل:

"لا أعلم كيف انتهى بي المطاف في المكان الذي لطالما حاولت الهرب منه، كيف ينتهي الطريق ببدايته؟! كيف يصبح الصفر اللاشيء المُكتمل هو أكبر الأرقام وأعظمها؟!.. كيف ينتهي الحُب بالكره وينتهي الكره بالمحبة والود؟! كيف تقلب الدنيا أحوالنا إلى الضد؟! والأدهى كيف نتحول نحن لتلك الدرجة التي تجعلنا نتقبل ما كنا نرفضه؟! كيف ننتظر بلهفة ما كُنا نفضل الموت عليه؟!".

كانت اقتباسًا للكاتب العالمي نيكوس كازانتزاكيس.. وكنت أعشقه.. أتذكر اليوم الذي انقلبت فيه حياتي رأسًا على عقب، اللحظة التي اختصرها حين قال: "كيف يكونُ الإنسان مليئًا بالأحلام وفجأة يصبح قلبه مقبرة؟! أين ذهبَ كُل شيء؟!".

قلبت الورقة فوجدت نصًا آخر على الناحية الأخرى من

الورقة:

"- وأنا أفعل ذلك لأنني أحبك.

- هل يجب أن يخسر كُل من يحبني ليثبت حبه لي؟!

- بل إن في محبتك المكسب الأعظم، المكسب الذي يجعل أفدح الخسائر تبدو ضئيلة للغاية.. لا بأس لا تعبسي رُبما سأجدك مُجددًا في بُعد آخر، ولن يفرقنا شيء، ابتسمي دائمًا؛ فإن الابتسامة تفقد العدو لذة الانتصار".

صمتٌ في محاولةٍ لتحليل كُل شيء، فـ"نيكوس" هو كاتب من عالمنا كيف تعرف عنه؟ هل هو موجود هنا أيضًا؟ أيعني ذلك أن كل الثقافات موجودة كما هي في الأبعاد الموازية؟ أنا مُتيقن أنه ليس كاتبًا في هذا البُعد أيضًا فلا يوجد كاتب واحد أعرفه مما وجدتهم في مكتبتها، رُبما يكون شمس قد أحضر لها هذا الكتاب من بُعدي ولكن هل هذه فكرة لروايتها أم أنها هي الرواية ذاتها.. لا أعلم ولكن هُناك لغز ما بشأن تلك الفتاة وسأكتشفه.

أنتهى اليوم وأنا أشعر بالتيه، وأتساءل لماذا أنا هُنا حقًّا؟!.. ماذا أريد أن أعلم بعد؟! لقد رغبت في النجاح بالسفر عبر الأبعاد وها أنا في بُعدٍ آخر لكني لم أكن أول من يفعل ذلك، ولسببٍ فإن كُل نُسخي التي نجحت بذلك رغم اختلاف

أبعادهم وشخصياتهم قد احتفظوا بالسر لأنفسهم، مما جعلني أرغب في معرفة الفرق وتدوين كُل الاختلافات بين البُعدين، ولكن ماذا بعد؟! ماذا أود أن أعرف بعد؟! لا أعلم ولكن ما أعرفه حق المعرفة أنني لا أود العودة.. أريد البقاء هُنا، رُبما صارت الغسق هي لُغزي المُفضل الآن..

غفوت وأنا أسترجع شريط حديثي مع شمس هذا البُعد ومحتوى جواباتهم، رُبما أكتشف شيئًا يساعدني، ثم تذكرت ملامح إيما، بينما أغفو وكأن حياتي صارت عُبارة عن فيلمٍ ما، لا أستطيع حتى توقع ما قد يحدث فيها، كُل ما عليّ فعله هو حُسن المتابعة فقط لا غير.. فلا أنا أملك السُّلطة الكافية للتحدث أو حتى الصُراخ..

خلعت قميصي.. ثم ظللت أتفحص جسدي، العباءة التي تحمي عبقريتي مثلما أدعوها، يبدو جسدي كجسد طفل حديث الولادة.. لقد حافظت عليه جيدًا حتى من التجارب ومن الحياة، لا ندوب ولا خبرات مؤلمة، أنا عالم ساذج لا يعلم عن الحياة شيئًا سوى الفيزياء، عالم جاهل لم يحاول يومًا أن يتعلم.. لقد دفنت نفسي في مُختبري ظنًّا مني أن تلك هي الحياة، وها أنا الآن بلا أثر.. لقد حميت نفسي بمنطقيتي العلمية التي لا أساس لها في فطرتنا الإنسانية، ظللت أدفن مخاوفي ومشاعري حتى أصبحت آلة مُتحركة،

دفنت الروح التي بداخلي حتى أصبحت مسخًا لا هو بآلية الماكينات ولا هو بإنسانية البشر. يتملكني الشعور بالغضب من نفسي، وهذا شعور غريب.. ظللت لأيامٍ أحاول تفسيره، لماذا أشعر بالسخط فأنا أعيش واقعًا ظللت أحاول الوصول له لأعوامٍ، لكنني الآن توصلت إلى أهم استنتاج.

الاستنتاج السابع: لا يوجد ما هو أسوأ من أن تشعر بالسخط من نفسك، أن تركض لأعوامٍ ثم تتوقف لتنظر خلفك وأمامك، لا تعلم أين أنت ولماذا استمريت بالسعي كُل ذلك الوقت.. إنه التيه ذاته.

قطع أفكاري صوت طرقات على الباب، ذهبت لأفتح لكني وجدت "إيما" أمامي.. فشعرت بتوتر لم أشعر به من قبل، ولم أعرف ماذا عليّ أن أفعل، وجدتها تبتسم لي في حميمية حقيقية، تبتسم وهي تنظر..

- صباح الخير.

- مرحبًا.

- أنا من ستستأجر العوامة من بعدك، أعلم أن الوقت مُبكر، ولكن الحارس أخبرني أنك لن تمانع لن تُمانع أن آتي باكرًا؛ لأنك ستكون مستيقظًا كعادتك.. هل يُمكنني أن أراها إن كان ذلك ممكنًا؟

شعرتُ بقدمي تفقد توازنها قليلًا، ثمة شيء غير مفهوم.. لماذا هي وهنا والآن؟! الكثير من الصدف اليوم.. افتعلت الثبات وأنا أمد يدي مشيرًا لها بالدخول:

- لقد استأجرتها اليوم فقط..

- أعلم لقد أخبرني.. لكنه قال إنك لن تمكث لفترة طويلة ولا مانع من حجزها من بعدك إن لم يكن لديك مانع بالطبع.

- بالتأكيد لا ليس لديّ مانع.. تُحبين القهوة؟

- شاي من فضلك.

- أنتِ سيدة المهام السريعة إذًا.

- ماذا تقصد؟

- نظرية الشاي والقهوة الشهيرة، ألا تعرفينها؟

- أعلم أنهم مشروبات ساخنة فحسب.

- بلى ولكن القهوة هي المشروب الهادئ الذي يأخذ وقته حتى تحتسيه على مهلٍ، فلا يُمكن أن تصنعيها بلامبالاة وإلا عاقبتك على إهمالك، أما الشاي فهو المشروب الجاهز دائمًا، كُل ما يحتاجه هو بعض المياه الساخنة فحسب كي يقوم بدوره ويتفاعل معها.

- القهوة تشبه النساء إذًا، دعني أرى كيف تُعامل المرأة؟

- كم مقدار السكر؟

- بلا سكر على الإطلاق.. هكذا ستكون على أكمل وجه.

ابتسمت بينما أتجه للمطبخ لاستطاعتي الحديث معها بشكل مختلف عما اعتدت، فها هي الآن تشاركني فلسفتي بينما أصنع لها قهوتها على مهلٍ.. ثم استشعرت خطوات قدميها تقترب، حتى نظرت لي مبتسمة:

- أشعر أنني قابلتك من قبل.

- لا يوجد غرباء في هذا العالم، فقط بشر لم نقابلهم بعد.

- اشرح لي أكثر.

- أعني أنه رُبما أنا غريب لكِ الآن ولكن تخيلي في بُعدٍ آخر أنا رُبما أكون أقرب إليكِ من حبل الوريد.

- أتعني في حياةٍ أخرى؟

- هل تؤمنين بالأبعاد الكونية؟

- لا أؤمن بشيءٍ لم أرَه.

- إذًا كيف تؤمنين بالله وبوجوده؟

- الله موجود في كُل مخلوقاته.

- وهكذا في كُل ما لا تعلميه أيضًا، ستنهارين من الانبهار بربكِ لو تعمقتِ في أسرار كونه.. ولسبب كهذا قد أمرنا بالتأمل.

- ولسبب كهذا أيضًا يخاف علينا من العلماء.

نظرت لها وابتسمت دون شعور بالحاجة إلى التبرير، وكأنه لا يمكن لشيء أن يغضبني اليوم.. لكن هل حقًّا جاءت لاستئجار العوامة.. طريقتها في الحديث تشعرني أننا معتادون على هذا النمط من الحوارات. ناولتها القهوة قائلًا:

- تفضلي قهوتك، ولكن عليك أن تحترسي مني، ماذا لو كنت قد وضعت بها ما ينقلك لأبعادٍ موازية كي تري مدى صحة كلامي؟!

- لا لم يحدث.. كُنت أراقبك جيدًا.

- يمكنني الآن أن أعتبر مراقبتك اهتمامًا وليس فضولًا، أحذرك مني مرة أخرى..

- لا تقلق، ليس من السهل جذب انتباهي.

ابتسمت بينما أردد في داخلي: آه يا عزيزتي، صدقيني لا يوجد من يعلم ذلك مثلي.

عرضت عليها الذهاب والجلوس في شرفة العوامة، إن

لم تمانع.. وكنت متأكدًا أنها لن تمانع.. ثم جلسنا نتأمل البحيرة والطبيعة، بينما نحتسي قهوتنا ونتحدث.. لأول مرة أشعر أنني غير ملاحق بشيء، غير مطالب بإنجاز تجربة أو بتحقيق المُستحيل.. عليّ فقط أن أتواجد بكامل وعيي، نظرت لها في فضولٍ واضح لم أحاول إخفاءه:

- أخبريني عن الحياة.. كيف تعاملك؟

- مثلما تعاملنا جميعًا، لا شيء مُميز.

- أنا أعرف لماذا ظهرتِ أمامي اليوم؟

- لكي أرى العوامة؟

- بل لأنه قد حان وقت مواجهتك للحقائق.

- أية حقائق؟

- الحقائق التي لا ترينها، بل التي تتجاهلينها بمعنى أدق.

- إنك تصيبني بالتوتر الآن.

- عزيزتي، إن الحقيقة مثل الموت، لا نعرف متى وكيف ستجدنا، ولكن يجب أن نكون على أهبة الاستعداد لمواجهة عواصف القدر دائمًا.

- بالنسبة للموت فلا قدرة لنا على مواجهته، ولكن ماذا عن

الحقيقة؟

- إن الحقيقة تدمر من يتغافل عنها، فالتجاهل يدمر كبرياءها فتدمرك بدورها.. إذ إن الإدراك مهما كان قاسيًا فهو مهم للفرار من الهلاك.

- لا خلاصَ لنا في الحالتين إذًا!!

- وهذه هي الخدعة، الإدراك قدر خطورته لا يُمكن أن يؤذي المُدرك إلا إذا حمل في طياته حقيقة موجعة، أما المُتغافل فتؤذيه الآمال الحمقاء والخذلان، ولا يوجد ما يسمّم قلب الإنسان بقدر الآمال المُحطمة والخذلان المُتكرر.

- وأنت تظن أنني غير مُدركة ومُتغافلة.. أليس كذلك؟!

- أخبريني أنت.

- لستُ في موضع اتهام لأخبرك مُجبرة!.

- لقد فعلتِ للتو.

صمتت وهي تستوعب أنها تتغافل حتى عن المواجهة وتتهرب من كُل ما قد يجلب لها ألم الإدراك.

- وكيف يُمكن أن يواجه المتغافل الحقيقة دون أن يدمره الخذلان؟

- أعلم إن ذلك سيكون في غاية الصعوبة في البداية، ولكن عليكِ أن تثقي بالعملية.

- أي عملية؟

- عملية تحولك من مُتغافلة سعيدة إلى مُدركة تعيسة.

- لا أعلم الآن إن كان الأمر يستحق المجازفة.

- لا يفوز بالملذاتِ إلا كُل مغامرٍ.

- هل صار الألم لذة الآن؟

- بل المعرفة والحقيقة هما اللذة التي لن تنتهي أبدًا.

نظرتْ إلى ساعتها وهي تقول:

- يا إلهي يجب أن أرحل.

تحركت من مكاني بينما أبتسم:

- من المؤكد أنني سأراكِ مُجددًا؛ لأنك لم تنجزي مُهمتك بعد.

- أيهما؟

- لم تري المكان جيدًا؛ لذا سأنتظر زيارتك.

ابتسمت في خجل بينما تستعد للرحيل، ثم تركتني مع

نفسي ومع رائحتها وفنجان قهوتها الفارغ الذي ينظر لي ساخرًا "ها هي ترحل مُجددًا يا أحمق".. فابتسمت له في المُقابل:

هذه المرة لم ترحل هاربة، بل رحلت مضطرة.

تحركت بعد ذلك خارجًا.. قررت الذهاب لغسق.. لابد أن أحاول أن أفهم ماذا أشعر وماذا أريد.. ما الذي يحدث لي هنا.. ليس ذلك ما توقعت قبل بدء التجربة.. لابد أن أعرف أكثر عن نفسي وعما أريد.. أحيانًا يكون سبب تمسكك بالأشخاص هو بحكم العادة، أعني هل تتذكر عدد المرات التي قررت فيها المحاولة مرارًا وتكرارًا فقط من أجل الجهود التي بذلتها حتى وصلت إلى هُنا.. ولكن هل سبق أن أخذت دقيقة لتفكر هل هذا ما تريد حقًّا أم أنه ما اعتدت أن تُريده ليس إلا؟

وصلت إلى بيت غسق ثم صعدت ووقفت أمام الباب في انتظار أن أرى ابتسامتها الصباحية، وحين فتحت الباب تلاحقت أنفاسي فجأة فلم يسعني سوى أن أسعل بينما أقهقه لا إراديًّا لتنظر لي في عدم استيعاب:

- جئت من أجل قهوتك أيتها الجدة.

ابتسمت وأفسحت لي مجالًا للدخول وقالت:

- آه يا عزيزي، كم هو رائع أن تتعذر بالقهوة.. ادخل. أفهمك يا شمس لا داعي للحجج.

- بل أنتِ من تصنعين قهوة لذيذة فقط لتجعلي منزلك يعج بالزائرين.

- إن منزلي لا يخلو منك يا عزيزي كي أستطيع استقبال آخرين.

- أراكِ منزعجة مني إذًا؟

ضحكت وهي تقول:

- وهل يمكنني ذلك؟! ولكن لتخبرني لماذا جئت حقًّا؟

- لقد جئت لتكملة الخطابات.

- حسنًا، الآن وقت الكتابة.. لتقرأ الخطابات بينما سأحضر القهوة وأكتب.

- وهو كذلك.

تعجبت من ردة فعلها هذه منذ فتحت لي الباب.. لا أعلم هل نسيت أم تناست كلامها القاسي لي منذ يوم.. وعن رغبتها في ألا يكون بيننا أي شيء.. حقيقة لا أفهم. ولم أجهد نفسي بالمحاولة.. اتجهت للخطابات التي تركتها لي غسق رُبما ليقينها أنني سأعود لقراءتها..

خطاب لم يُرسل

عزيزي سابقًا:

لقد وجدت سلامي النفسي مؤخرًا في حقيقة أنني لن أتمكن من الحفاظ على كل شيءٍ أريده، وأنه لا بأس بالخسارة القريبة بدلًا من التأمل في المكسب البعيد، لا بأس من مقامرة القدر، من ترك عصا القيادة واتباع التيه.

لذا حررت روحي من كل التوقعات ومن الانتظار مثلما حررت رأسي من شعرٍ زائد لم أرغب به يومًا.

لقد فقدت ثقتي مؤخرًا بكل الثوابت وصرت أؤمن بكل ما هو زائل فحسب، أثق بالشمس أكثر من السماء، بالقمر أكثر من البحر.. أثق بالواقعية المؤلمة أكثر من اللُّطف، أثق في الصقيع والفراق أكثر من الحُب الدفيء المؤقت.

ووجدت أن إيماني بكُل ما هو مؤقت مُريح للغاية، ليقيني بأنه سيرحل، أعني أنك لن تغضب من الشمس لأنها ستغرب أو من القمر لأنه يغيب طويلًا ثم يحضر ليغيب مُجددًا، ولكن تخيل لو اختفت السماء، لو تبخر البحر!

إن نصف الألم في الأمل، وقد حررت روحي من كُل ما قد يمس روحي، فأصبحت أنا القمر والشمس وفصول السنة

باختلافها، يكفي ألا يتوقع أحدهم وجودي وألا أتألم لغياب أحدهم.

"لك"

***

ذهبت للمطبخ ونظرت لها مطولًا، فبادلتني النظرة وهي تبتسم لأقترب منها أكثر، وأنا أشعر بارتباكها، لكنني لم أكترث في تلك اللحظة وقلت:

- ممن تهربين؟

- حين تسأل السؤال بالصيغة الصحيحة سأجاوبك.

- مما تهربين؟

- من كُل ما لا أستطيع مواجهته، وتلك هي لعنتي الأبدية.

- وهل يجدي الهروب نفعًا؟

- في تلك المرحلة أرى أنه لا شيء يجدي نفعًا، لا المواجهة ولا التخطي.

- أتُسمّي الهروب تخطيًا؟

- وما هو التخطي سوى الهروب من معالجة الأمر؟

- التخطي هو تقبل الأشياء التي ليس لنا قوة في تغييرها،

في تقبل القضاء والقدر.. التخطي هو العبور من فوق الأشياء التي تمزق قدمينا وتجعلنا ننزف دمًا؛ لأنه ليس بمقدرتنا أن نزيح أذاها عن طريقنا.

صمتت بينما تفكر فيما أقول وهي تعطيني فنجان القهوة خاصتي، ثم نظرت لي بعينين مغرورقتين بالدموع ثم قالت:

- أنا لا أريد أن أواجه ولا أن أتخطى.. أنا لم أرغب في المرور بكل ذلك من البداية، لا أستحق كل ذلك العناء.. فلماذا عليّ أن أحارب في حين أن كُل ما أسعى له هو السلام، أنا لم أختر أيًّا مما حدث لكي أعاني عواقبه وحدي..

ثم أكملت بغضب صارخة:

- لماذا لا يُمكنني أن أتزوجك، لكنني لم أستطع مواجهتك ولا يُمكنني فعل هذا الآن، لقد حاولت الهرب منك كثيرًا، حاولت تخطيك وحاولت أن أكون معك مُتجاهلة كُل ما قد يُعيق ذلك، لكنني لم أفلح في البقاء ولا الرحيل، لم أفلح في أي شيء.

ثم انهمرت باكية.. أخذت تبكي بين ذراعي، تبكي وهي تود الهرب لكنها تود البقاء بنفس القدر.. لا تستطيع معي صبرًا ولا تستطيع الرحيل.. تختبئ بين ضلوعي بينما تركض بكل ما بداخلها مني.. تهرب لداخل عقلها ثم تركض من عقلها

بينما ألاحقها داخلها وخارجها.. تتمنى لو بإمكانها الهرب من ذاكرتها، مني.. أن تستأصلني، ولكن هل يُمكنها أن تعش من دوني؟! هل تعلم أنها قد تركض من بُعدٍ لآخر فقط لتجدني مُجددًا!!.. ولكن من منهم يشبهني أنا.. من منهم قد يكون الشخص الذي تتمناه وتستحقه، من يضمها بنفس محبتي...

بقيت معها واخترت الصمت.. بعد فترة قليلة، لم أشعر أن استدراجها في الكلام الآن سيكون تصرفًا صحيحًا، لأنها ستخبرني بالفعل لكنني لا أريدها أن تخبرني في لحظة ضعف وإنما بمنتهى قوتها، كانت تحت تأثير الخوف، رُبما أننا نقول الحقيقة كاملةً حين نخافُ بدون محاولات لادعاء النقيض. في النهاية اختارت أن تخبرني بما تحمله من هم وقالت:

- أبي لم يكُن هُنا.

نظرت لها في عدم فهم:

- كيف؟

- أبي لم يكن موجودًا، أتعرف ذلك النوع من الآباء الذي لا يُمكنك أن تقول إنهم سيئون لكنهم ليسوا جيدين في الوقت نفسه.. ليس سيئًا رُبما لأنه لم يكن هُنا من الأساس، لم يكن معك في يومك الجيد أو السيئ، لا يعلم همك ولا

يدرك مصادر سعادتك، لا يهتم إن كُنت مريضًا بل وينسى أنك أخبرته بمرضك حتى.. أتعرف ذلك النوع من الآباء الذي لا يعرف كيف يهتم بالفطرة، أعني أنه لم يُعنفني جسديًّا لكنه لم يكن هُنا.. لم يكن موجودًا.. غيابه يجعلك تتمنى لو كان هُنا وله دور فعال، حتى وإن كان هذا الدور سيجعلك ترتعب من نبرته الحادة وصوته الأجش.. أن يكون أبًا يُمكنك أن تركض إليه حين تقع في ورطةٍ ما، وأنت تعلم أنه لن يمسك أحدهم طالما أنك في حمايته.. أو أن تهرب منه حينما تفعل شيئًا خاطئًا.. لكني لم أكن بذلك الحظ أبدًا، وإنما كُنت فتاته المُدللة حين يتذكرني، كُنت مثل نشرة الأخبار التي يسمعها مرة شهريًّا وهو يتصل بي ليعلم أخباري وكيف آلت بي الأمور وماذا فعلت بي الدنيا كأنه مُتفرج غريب، كان يعلم الخطوط العريضة في حياتي فقط، لم يكن على علم بالليالي التي بكيت بها لأنه ليس هُنا.. رُبما يبدو هذا سخيفًا في نظرك؛لأن أباك مودود، لكن الأمر كان بالنسبة لي كبوة كبيرة.. فقد كبرت لأكون فتاةً حمولة قوية؛ لأنه لم يكن لديّ أب يُمكنني أن أميل رأسي عليه في أوقاتي السيئة، لم نخض حوارًا عميقًا أخبره فيه كيف أفكر وكيف أشعر في يوم من الأيام، لا أظن أنه اهتم في مرة أن يعرف كيف يعمل عقلي ليستطيع أن ينصحني ويقص عليّ خبراته الحياتية وكيف أواجه بشاعة العالم، لم يكن هُنا لأخبره كيف أشعر في

يومي الجيد أو السيئ.. لم يكن هُنا في أكثر أيامي نجاحًا ولا أكثر أيامي فشلًا، لا أحمل في عقلي ذكريات تجمعنا.. وهذا أسوأ ما قد يحدث، حين يموت أحد والديك وطفلهما صغير يقولون "لن يتذكرهما"، وها أنا على مشارف عقدي الثالث وليس لدي ذكرياتٌ عنه رغم أنه حي يرزق، يمكنني القول بأنه لا يوجد أصعب من أن يكون الشيء مُتاحًا لكنه صعب المنال، كأنه مُتاح للجميع عداك.. إذ تشعر حينها أنه خطؤك، إنه لا يُحبك لأنك فعلت شيئًا أغضبه، لا يُمكنك كطفل أن تتقبل وجود بعض الأشخاص السيئين بدون أن يكون لك دور في سوئهم، فمن يكبر هكذا يظن أن كُل ما يحدث خطؤه، في أحد الأيام تشاجرنا سويًا أنا وأنت.. تشاجرنا فيه لدرجة أخافتني. لقد باغتتني إحدى نوبات الهلع ليلتها، فبقيت معي يومها وأنت تربت على شعري رغم غضبك مني، تعطيني الماء وتهدئ من خوفي وتتأكد أنني بخير.. ثم توقظني من حينٍ لآخر وتتفقد أموري، لم أستطع النوم حينها ولكني ادعيته لأرى تصرفاتك العفوية.. لقد كُنت لي الأب الذي لم أجده ورغم ذلك كُنت أخاف كثيرًا من أن نتزوج، لم أرد أن ننجب طفلًا لهذا العالم، لم أرد أن تكون مثل أبي.. كُنت مرتعبة من أن يتغير أيٌّ من تلك المعطيات فتتغير النتائج.. أنا فتاة لم يهبني القدر والدًا.. أيمكن أن يهبني حبيبًا كالأب بدون مُقابل؟! لم أكن مُستعدة لأدفع ذلك المقابل.

نظرت لها ولم أتحكم في دموعي، فأنا لم أحظَ بأبٍ أيضًا، وأعلم جيدًا كيف تشعر، لكنها لا تعلم ذلك.. أو هكذا ما تدعيه أمامي.. فحين تكون بلا أب تشعر أنه لم يحبك العالم بما يكفي ولن يحبك أيضًا، بل يتكالب عليك..

بكينا سويًّا واختبرنا أطهر معاني الحب.. كان الطفلان داخلنا هما من يبكيان في الحقيقة، ولا يوجد أطهر من حبٍّ يخرج الطفل من داخلك ويجلسه فوق قدميه ليعتني بأمره ويدلّله كما يستحق...

- هل تخافين ألا أكون أبًا جيدًا؟

- للزواج تلك اليد السحرية في تغيير الأشخاص، وأنا أخاف كثيرًا أن تتغير لتكون مثل أبي.

- لكنني لست هو.

- هو أيضًا لم يكن كذلك.

كُنت أعلم أنها تحت الخوف القهري بداخلها ولن تقتنع بما أقول، ولهذا لم يكن عليّ سوى أن أطمئنها، لكم أردت إخبارها أنني لستُ ذلك الشمس الأحمق بل نسخته المهذبة التي وافقت على الزواج منها منذ لحظات لقائنا الأولى، نسخته الأكثر تفهمًا.

بعد فترة طويلة من الصمت قامت بهدوء واتجهت إلى آلة الكتابة خاصتها.. تحب الأدوات الكلاسيكية في الكتابة على ما يبدو.. بدأت في الكتابة وكأنني غير موجود.. أو لم أعد موجودًا.. بينما جلست أحتسي قهوتي عن كثب واقتربت في بطء شديد وأخذت أقرأ ما تكتب. وكأنها تكتبه لي أنا:

"أنا لا أخشى النهايات، ولكن أخشى أن أنام يومًا وأنا على يقينٍ أنك لن تكون هُنا في أي صباحٍ قادم.

لا أخاف المسافات، لكنني أرتعب من القرب الزائف، أن تكون هُنا ولكن بيني وبين روحك ملايين الأعوام الضوئية.

لا أبالي بالفراق فالبُعد يجعل لقاء الأجساد مُحالًا، ولكنه لا يستطيع منع القلوب من المحبة.

والحقيقة أنني أخشى كثيرًا وأخاف وأبالي بشدة في كثير من الأحيان، وهذه هي لعنتي الأبدية.

لك حرية الذهاب لكنك قد فقدت حرية الرجوع، طالما رغبت في الرحيل ارحل للأبد".

أنهت الكتابة وأخذت نفسًا عميقًا، قلت لها سائلًا:

- غسق؟

- نعم.

- أين تريدين أن تكوني الآن؟

- لا أدري، أتخيل نفسي الآن ومن حولي وديان وحدائق ونسمة هواء دافئة لكنها باردة في الوقت ذاته، أريد أن أتحرر مني ورُبما منك أيضًا، لكنك سألتني.. أنت أول ما جال بخاطري، فكيف آلت بنا الطرق إلى هُنا يا عزيزي؟

- أنتِ من تتذكرين كل شيء جيدًا، فهل يُمكنك إخباري؟ إن كُل ما أعلمه هو إنكِ تهربين مني لسببٍ ما.

- شمس، أهرب منك لأن هُنالك من يُلاحقني.

- كيف هذا؟

- بما أنك لا تتذكر كل شيء، يُمكنني إخبارك وكأنك صديقي المقرب بدون الارتياب من غيرتك المجنونة.

- لنخرج ونتمشى قليلًا.. أحب أن أسمعك ونحن سائران.

- فكرة لطيفة.. دقائق وأكون جاهزة ثم قامت من مكانها وفي دقائق قليلة كنا نتمشى بالخارج في أحد الشوارع الهادئة.. كانت تتلفت حولها وكأن هناك من يتبعنا، ولاحظت أنها شاردة لا تتبع ما أقول كما كنت أتمنى.. وبعد قليل أحسست أنها اطمأنت تمامًا وشرعت في الحديث لكن هجم

علينا أحدهم بغتة ووقف أمامها في غضب وهو يقول:

- مرحبًا يا عزيزتي، ها قد وجدتك!

بدا عليها الرعب الشديد، بينما شعرت بها تختبئ بي، فوقفت بينهما لا شعوريًّا في عدم استيعاب.. فوجدته يحركني بيديه ليبعدني من بينهما قائلًا:

- مرحبًا، أنا عزيز.. زوجها.

شعرت بأحرف الكلمة "ز- و- ج- ه- ا" تنغرس مثل الأسهم في قلبي، لم أفهم كيف يُمكن لكلمة أن يكون وقعها عليك بكل هذه القوة.. هل هذه مشاعر شمس هذا البُعد أم مشاعري أنا أم كلاهما متحدان؟.. شعرت بشيء لا يُمكنني تفسيره لكنني نظرت لها ثم لذلك الرجل وسألت:

- زوجها؟ زوج من؟

فنظر لها هذا المدعو "عزيز" وقال:

- سأحزن جدًّا، ألم تخبريهم عن زوجك الذي يبحث عنك منذ خمسة أعوام؟! ألم تخبريهم كيف هربتِ من العرس وتركتني أواجه العار وحدي؟! ألم تخبريهم عن الأعوام الكثيرة التي أضعتها في محبتك منذ كنا أطفالًا في الواحة؟!.. ألم تخبريهم عن عائلتك وعادتنا أم أنك وعدتِ

ذلك المُختل بالزواج؟!

ثم تابع ناظرًا لي وهو يتحدث:

- أتمنى ألا أكون قد قطعت خططكم المستقبلية. استفزني كلامه بشدة فقلت متحديًا رغم عدم فهمي لأي شيء:

- بلى، كنا نتحدث للتو عن فستان زفافها ونختار لون رابطة العنق سويًّا..

- آه أنت ساخر أيضًا.

كادت تقترب منه لأقف بينهما حائلًا مرة أخرى وهي تقول له:

- عزيز.. أرجوك ارحل الآن وأعدك أنني لن أهرب مجددًا، اتركنا سويًّا لبعض الوقت.. أنا مَدينة له بتفسير.. أعرف أنك ستجدني.. متأكدة من ذلك.. ولهذا لن أهرب منك مجددًا لا تقلق.

صاح عزيز وهو يقول:

- ماذا عني؟ ألستِ مَدينة لي بأي شيء؟ ألم تديني لي حين تركتني؟!

- عزيز أنت تعلم أن ذلك الزواج لم يكن سوى لعبة.

- لم يكن هناك لعبة في هذا الزواج سواي، كُنت لعبتك يا عزيزتي لكي تحققي ما ترغبين به.

- أمهلني يومًا فقط يا عزيز.. أرجوك.

- لا مشكلة لديّ.. لقد انتظرت خمس سنوات، هل تظنين أنه لا يُمكنني انتظار يوم آخر.. ولكن كيف لي أن أثق بكِ؟

- أقسم لك أنك لو لم تفعل سأهرب مُجددًا ولن تجدني تلك المرة.. لا تتحداني يا عزيز.

- حسنًا، يوم واحد فقط، لكني لن أرحل وأترك هذا الغريب معك!

- هذا شمس، تذكّر اسمه جيدًا لأنه من سيطاردك عُمرًا بأكمله.

ضحك عزيز وهو يقول:

- أتعلمين، لن أهتم بكلامك.. استمتعي بحريتك في يومك الأخير بدوني، لأن هُنالك جحيمًا بانتظارك.

ثم حدثت المعجزة ورحل هذا المدعو عزيز.. بينما أقف غير واعٍ لأي شيء.. انتفضت غسق من وقفتها واتجهت عائدة إلى المنزل.. تبعتها وكلي أسئلة وعدم فهم.. فور دخولنا المنزل وفي منتصف الصالة وقفت غير مدركٍ لما

حدث للتو، لم أفهم كيف لذلك الرجل أن يتركها معي ويرحل وهو زوجها!.. أي لعبة تلك.. ولماذا وكيف لم تخبر شمس بأمر كهذا من قبل.. لذلك كانت تهرب ولم توافق بالزواج.. قطع صوتها حبل هذه تلك الأفكار المتلاحقة وهي تقول مفسرة:

- لم يعد هناك وقت للألاعيب يا شمس.. أنا أعلم عنك كل شيء من البداية.

- تعلمين ماذا؟

- أعلم أنك لم تفقد ذاكرتك، أعلم أنك من بُعدٍ آخر.. لقد فهمتُ ذلك منذ أعطيتني بذلتك.

ضحكت من سخرية كُل ما يحدث.. إن شمس هذا البُعد كان محقًّا حين قال إنني أرى نفسي أذكى من الجميع وهذا هو عيبي.

- أنا لستُ غبية لأصدق تلك الحجة أنك فقدت ذاكرتك، لكنك تتجول من حولي كثيرًا، لست غبية ولا ألحظ تغير شكلك وطريقة تعاملك.. أنت بالكاد تشبه شمس الحقيقي.. ولهذا فأنا أعلم أنك تحمل مشاعر تجاهي مثلك مثل شمسي. مشاعر حقيقية لم يلوثها الشجار والعتاب والتراكمات والأنانية المفرطة.

- لماذا لم تخبريني؟!

- لأنني كُنت أود أن يبتعد عني شمس حتى أحل مشكلة عزيز، أما أنت فلم أبالِ بأمرك؛ لأنك لا تبالي سوى بنفسك وبعلمك إن أردنا الحقيقة، إن المشاعر لم تغزُ قلبك بالشكل الكافي، ولا أريد أن تتعقد الأمور أكثر.. كما أن شمس قد أخبرني عنك مُسبقًا. في وقت بعيد.

- هل تظنين أنني لا أحمل مشاعر حقيقية؟

- لست متأكدة، فأنا أعلم أنك تأثرت بي.. ومشاعر شمس منطبعة في روحك بكل تأكيد.. ولكن تذكر أن كُل هذه المشاعر هي مشاعر شمس الأصلية وخبراته وذاكرته وإحساسه بي وليست تخصك أنت.

- هل هذا مُبررك؟ كيف تفعلين هذا به؟

- كُنت سأخبره بكل شيء حين أنتهي من ذلك الكابوس.

- وهل سيغفر لكِ أعوام كذبك عليه؟

- هل تظنني كذبت لأني أود الكذب!

- ليس هُنالك أسهل من الحقيقة.

- إذًا لماذا لم تخبرني أنت عن حقيقتك؟! لماذا قضيت ليلتك الأولى بمنزلي وأنت تقنعني أنك حبيبي الذي فقد الذاكرة.

- هذا وضع مُختلف.

- إنه الأمر ذاته، لكنك تكره الاعتراف بالحقيقة.

لم أكن أهتم بما تقوله حقيقة.. كان رغم كل هذا العبث ما يشغلني حقًّا هو عزيز.. هل هي متزوجة منه فعلًا؟ هل تحبه؟ أو كانت تحبه؟ يبدو أن سطوة مشاعرها عليّ قد اتخذت شكلًا مخيفًا. أم أنها مشاعر شمس الآخر وقد تسربت إليّ في هذا البعد الذي لا أفهم من قوانينه شيئًا؟! ودون أن أستطيع أن أكتم مشاعري سألتها في أسى:

- من عزيز إذًا؟ أخبريني كل شيء.

اتجهت إلى مكتبتها، ثم أخرجت كتابًا.. وأعطتني إياه وأخبرتني أنه يحمل الحقيقة كُلها.

فقلت بسخرية:

- حقًّا، هل سأقرأ الآن؟

- إن كُنت تريد أن تعرف ستقرأ.

جلست مستسلمًا.. أريد أن أفهم.. لا أقتنع برغبتها في أن أقرأ الكتاب لأفهم.. لكن يبدو أنها لن تمنحني ما أريد بسهولة. جلست صاغرًا لأقرأ ربما أفهم. بينما أضع يدي حول عنقي في محاولة استيعاب ما يحدث.. فحبيبتي في هذا البُعد

متزوجة وبينما أنا هُنا لاكتشاف العالم وجدتني أكتشف حقائق لم أرغب في اكتشافها.

فتحت الكتاب وبدأت فيه على مضضٍ وأخذت في القراءة..

'لا أعلم كيف انتهى بي المطاف في المكان الذي لطالما حاولت الهرب منه، كيف ينتهي الطريق ببدايته؟! كيف يصبح الصفر اللاشيء المُكتمل هو أكبر الأرقام وأعظمها؟!.. كيف ينتهي الحُب بالكره وينتهي الكره بالمحبة والود؟! كيف تقلب الدنيا أحوالنا إلى الضد والأدهى؟! كيف نتحول نحن لتلك الدرجة التي تجعلنا نتقبل ما كنا نرفضه؟! كيف ننتظر بلهفة ما كُنا نفضل الموت على أن نصل إليه؟!".

أتذكر اليوم الذي انقلبت فيه حياتي رأسًا على عقب، تلك اللحظة التي اختصرها نيكوس كازانتزاكيس حين قال: "كيف يكونُ الإنسان مليئًا بالأحلام وفجأة يصبح قلبه مقبرة، أين ذهبَ كُل شيء؟!".

كُنت في العاشرة من عُمري، حين جاءني أبي.. أجلسني على قدميه وابتسم لي في محبة ممزوجة بخوفٍ لم أستطع فهمها في ذلك الحين، وأخبرني بصراحة اعتدتها منه عن الثأر، وأنه يجب أن يذهب لعائلة معادية لنعيش جميعًا في

سلامٍ، حاول تلخيص الواقع في كلماتٍ بسيطة أستطيع فهمها بقوله:

- غسقي، يجب أن تتذكريني حين نكبر سويًّا، حين يتحدث عني الجميع بالسوء، اعلمي أن هذا الثأر، هذا العار هو ثمن السلام والأمان الذي سنشعر به.

- ولماذا يجب أن يكون العار في السلام، أمي تقول إن العار في الدم والقتل؟ لا أفهم شيئًا!!

- صغيرتي نحن نعيش في عالم من ذلك النوع، مثل لعبة كرة القدم التي تُحبين لعبها مع عزيز كثيرًا.. هل تكسبين دائمًا لأنك أفضل منه؟

- بل إنه أفضل مني وأشعر أحيانًا أنه الرابح بالفعل لكنني لا أستطيع إثبات ذلك بعد.

- وأنا أيضًا أتركهم يربحون الآن.

- ولكن عزيز يفعل ذلك لأنه يحبني.

- وأنا أفعل ذلك لأنني أحبك.. يا حبيبتي، في محبتك المكسب الأعظم، المكسب الذي يجعل الخسائر الفادحة تبدو ضئيلة للغاية.. لا بأس لا تحزني، يومًا ما ستفهمين.. ابتسمي دائمًا فإن الابتسامة تفقد العدو لذة الانتصار.

أتذكر أيامي وأنا أركض في ساحة منزلنا الكبير في الواحة.. بعيدًا عن صخب المدينة وتحضُّرها.. من حولي أبناء عمومتي، بينما تقف الأمهات في الشرفة كي تطمئن علينا من حينٍ لآخر عندما يقطعن حلقة نميمتهن عن الجيران وأفراد العائلة الغائبين، لقد كنا نعيش أهدأ أيامنا، تلك الأيام التي يكون فيها أسوأ همومك هو الانتهاء من الفروض المدرسية خاصة مادة الرياضيات، وكيف تقنع والدتك بعدم الذهاب غدًا إلى المدرسة لكنني كما كانت تنعتني جدتي "سابقة سني"، وكأنه كان يجب أن أسبقهم هم أيضًا.. سارت الأمور على هذا النحو حتى جاء عمي الأكبر وعلى وجهه حزن دفين ثم انتشلني من بين أطفال العائلة جميعهم وضمني إليه وهو ينعتني بـ"بنت الغالي" ثم قبّلني ورحل، شعرتُ حينها أن هُنالك شيئًا غريبًا في هذا العناق لكنني لم أبالِ ورحت أتسلق شجرة الليمون أثناء اللعب لأجد صرخات مدوّية من نساء عائلتنا، حين لم أستطع تحديد مصدر الصوت اختل توازني وسقطت، وتبقت لديّ ندبة في قلبي وفي رأسي من أثر هذا السقوط.. ركضتُ لهم فور توقفي عن البكاء الذي لم يبالِ أحدٌ به سوى أكبر أبناء العائلة "عزيز" أقرب أصدقائي وكاتم أسراري وكوارثي إن حق القول، ذلك الصديق الوفي الذي لم يخبر أمي أنني أتخلص من طعامي يوميًّا للكلاب المُشردة، ولم يخبرها أنني تسلقت

شجرة ضخمة حتى أنقذ قطة عالقة، وإنما كان شريكي في الجريمة - بالإجبار- لأنه يعلم أنه لو لم يساعدني سأفعلها وحدي، فانتظرني بالأسفل بعدما أقنعته أنه سيكون له دور عظيم في أن يمسك بي بعدما أقفز من الشجرة؛ لأنني لن أستطيع النزول وحدي وأنا أحمل القطة، وبالفعل تسلقت وأحضرت القطة، وعندما حان وقت القفز حاول عزيز أن يقنعني أن يتسلق ويأخذها مني حتى أستطيع النزول في سلامٍ لكنها كانت قد تعلقت بي فلم أرد أن أخذلها فوقع على عاتقه مسئولية إمساكي بينما أقفز وبالفعل أتم مهمته بنجاح لكنني سقطت فوقه أنا ونازلي بسلامٍ وسقط هو بدوره حتى نزفت رأسه وكذبنا حين عدنا إلى المنزل بأنه قد تعثر في حجر بينما نركض، أنا أيضًا كنت وفية له فلم أخبر والده عن هروبه من المدرسة للعب الكرة ولا عندما رأيته يدخن سيجارة لأول مرة، لم أخبره عن خططه للهروب من الواحة إلى المدينة.. لأنه لا يُريد أن يكون عامود العائلة وإنما يُريد أن يكون حُرًّا من كُل تلك الأعباء، فقد كان أخي الذي لم تلده أمي، بقي بجانبي كعادته يحاول أن يهون ألمي بقلبه الحنون، ولكن حين سمعنا عمي الأكبر يقول لأمي: "لا تحزني، سآخذ بثأره، لن نأخذ عزاءنا حتى يحدث ذلك مهما طالت الأعوام.. وغسق هي ابنتي الثانية" استرقت النظر وأنا أرى معجزة..

رأيت الكبار يبكون مثلنا!

اندهشت لدرجة كبيرة جدًّا وكأنني اكتشفت وجود الفضائيين.

لم يشعر أحد بوجودنا في تلك اللحظات، وعندما رأتنا زوجة عمي تخيلت أنها قد تنهرنا وتقول لنا إنه لا يجب أن نسترق السمع وأن تنهر عزيز لأنه رجل وللمجالس حُرمتها وأنه أكبر الأبناء ويجب أن يكون قدوة لنا، لكنها ضمتني وهي تبكي مما زاد حيرتي وارتباكي.. لدرجة أنني ظننت أنهم يواسونني لسبب آخر سألت أمي بعينين دامعتين "هل مات أحد؟" فضمتني وبكت أكثر لكني لم أفهم سبب بكاء أمي، لم أفهم إلا بعد أن جاءت سيرة أبي وعرفت أنه المقصود وصارت الرؤية ضبابية منذ ذلك الحين وإلى الأبد....

لم تكن طفولتي سيئة فقد كُنت الطفلة المُدللة ولكنني كُنت أكره السبب، كُنت أكره أن يعاملني الجميع برفق ومحبة؛ لأنني خسرت أبي في سنٍّ مبكرة، فالأمر يبدو مثل أن يعطيك الآخرون الطعام؛ لأنك فقير، شفقة لا محبة.. لقد كُنت أشحذ الود فأكره محبتهم المزيفة المُغلفة بتأنيب الضمير؛ لأن أبي قد قُتل بدلًا من عمي الأكبر، إذ كان يجب أن يسلم أحدٌ منهم نفسه لعائلة.. حتى يضمنوا مستقبل هادئ لأطفالهم بعيدًا عن الثأر والدم والهرب، لكني لم أرغب في تصديق فكرة أن أبي قرر أن يتخلى عن حياته بإرادته الحرة،

لم أردْ أن أصدق أنه اختار العائلة على أن يقضي حياته معي.. أن يضمن لي حياة هادئة من دونه؛ لأنه على حد قول عمي: "أقلهم مسئولية"، وطفلة واحدة عندهم أقل من ذكور العائلة الذين لن يعكفوا عن أخذ ثأر أبيهم بالتأكيد، أما أنا فسيدللونني حتى يأتي زينة الشباب المُختار الذي سيأخذني لمنزله وتنتهي مهمتهم في سلام.

ولكنني كنت أملك خططًا أخرى؛ فقد درستُ كثيرًا منذ كنت طفلة، وضعت أحزاني ووحدتي في الأرقام.. أحببت الرياضيات كثيرًا؛ إذ إنها كانت مادة أبي المفضلة، وتخرجت من الثانوية العامة بمجموع يكفي أن يجعل الجامعة البعيدة في المدينة تعطيني منحة للالتحاق بكلية الهندسة؛ وبناء عليه كان يجب أن أنتقل للعاصمة.. فقد حان وقت خروجي من تلك الحفرة التي سقطت فيها، ولم يتسنَّ لي النجاة منها أبدًا، ولكن كل شيء سيتغير الآن.

أقنعت أمي بالسفر معي.. وما جعل أعمامي يرضخون لرغبتي أن عزيز قد فعلها قبلي، فكانوا يعلمون في قرارة أنفسهم حين سافر عزيز أنني إما سأسافر له أو أنه سيعود إليّ بكل تأكيد، فقد كانت تربطنا علاقة قوية لم أفهم معناها أبدًا، هل كانت أخوة أم عشق أم مزيج منهما، لكنني كُنت أعلم أنه قد يضحي بحياته من أجلي دون ذرة ندم وأنني

سأفعل المثل وأكثر. أمضيت خمس سنوات من عمري بعد ذلك بين الدراسة واكتشاف العالم من خارج قوقعتي، لقد رأيت الجنة بين يديه أولًا ثم أفلت يده فرأيت العالم بوجهه الحقيقي، تعرفت على مختلف الشخصيات، سقطت في الكثير من الهفوات، ولكن يد عزيز كانت تلحقني دومًا مثلما فعل معي ومع القطة، كان هُنا دائمًا يحاوطني قبل أن أسقط في الهاوية.

لم يكن يلومني على طيشي أبدًا فهو أكثر من يعلم أنه لا يُمكنه لومي على حُبي للاكتشاف، اكتشاف العالم، الأمل والألم.. اكتشاف ذاتي في حالات الشغف وفي حالات اليأس.. كُنت أفتقد وجه العالم الحقيقي على نقيض ذلك العالم الزائف الذي عشت فيه مع عائلتي، لقد كُنت مختلفة عن بنات العائلة.. إذ إنهن يرغبن بالزواج ويقعون في عشق هذا وذاك، أما أنا فكنت أقع في عشق الشعر والقصائد وأركض لكي أقص على عزيز حياة شعراء الجاهلية، أحببت كيف استخدموا اللغة وسخروها لما يريدون.. لكن عزيز كان له آراء أخرى.. لم أنظر للوضع من زاويته أبدًا في تلك الأمور.. فقط كُنت أحب أن أشاركه آرائي التي لن يتقبلها غيره.. رغم اختلافنا الشديد بعد أن كبرنا كُنت أشعر وكأنه مَسكنٌ لي في هذا العالم، المكان الذي لا أجبر فيه على التبرير أو التفكير. وإنما يُمكنني أن ألقي قنبلة في حديثنا

معًا دون أن أخشى انتقاده لي، أتذكر في بداية سفري للقاهرة حين قال لي:

- لستِ مجبرة على أن تكوني سيئة الطباع متعجرفة مع جميع البشر، فهُناك شيء يُدعى "صداقة" ستكون حياتك ألطف إن كان لديكِ صديق.

- لديّ أنت.

كُنت أعني تلك الجملة بكل معانيها، فلم أحتجْ لصديقٍ أبدًا؛ لأنه لديّ عزيز، لم أحتجْ لحبيبٍ أو أب حتى بوجوده، ولكن لم يكن هناك من يتقبل تلك العلاقة المميزة التي تربطنا حتى عائلتنا فيظنون أنني لعزيز وعزيز لي. وقد كُنا نسخر من ذلك لكننا لم نحسم ذلك الجدال أبدًا.. وإنما تركنا كل شيء مُعلقًا.

***

ظللت أفكر فيما قد قرأته للتو من أوراق غسق.. ثم نظرت لها.. وقلت:

- من بعد أنتِ يا غسق.. لتقولي الحقيقة.

- لتبادر بالحديث قائلة:

- أنت حقًّا حاد الذكاء.

- أنتِ لستِ غسق هذا البُعد، أبوكِ لم يحمِكِ منهم.. ولذلك

فضّلتِ قتله في الكتاب على قتلك.

- أجل، غسق هذا البُعد قُتلت من القبيلة حين رفضت زواجها من ابن عمها أما أنتِ فقد كنتِ أذكى، تزوجتِه ثم هربتِ.

- وكيف وجدك!

- نحن لا نعثر على بعضنا البعض، بل نتعثر بأحدنا الآخر.. تنجدنا يد الأغراب دومًا عندما تخذلنا يد الأقربين منا.

- كيف تأقلمتِ؟

- لم يكن تأقلمًا، التأقلم هو دليل على وجود اختيار آخر، وأنا لم يكن لديّ تلك الرفاهية.. وإنما كانت لديّ فرصة واحدة للنجاة، فرصة انتزعتها من فك القدر عَنوة.

- كيف تشابهت حياتكما، أليس الأبعاد هي سيناريوهات مُختلفة لنفس الأبطال؟

- أحيانًا لا يكون الاختلاف جذري في الحياة اليومية.. والأهل أو السيناريوهات كما تدعوها بل في اختلاف القدر.. أنا حية أرزق بينما هي بين ثنايا التراب.

- كيف تشعرين إزاء ذلك؟

- إنني أكثر عباد الله حظًّا.. لقد أنجدتني يد الله حين

منحني مُعجزة خاصة.. إنني أستيقظ كُل صباح والإيمان يسكن كل خلاياي، كُنت أثق دائمًا أن يد الله لن تتركني، وأنه عند ظن عباده كما أخبرنا في كتابه المجيد..

- هل تشعرين أنكِ تخدعين القدر بوجودك هُنا؟

- لا أحد يخدع القدر يا عزيزي ولا حتى الموت.. لأنهما يجدانك ولو كنت مُختبئًا بأكثر خزائن العالم سرية.. لقد قُدر لي أن أكون هُنا مثلما قُدر لك وجودك معي.

- كيف لم تخافي مني وأنتِ تعلمين أنني لستُ شمسك؟

- لأنك شمسي بطريقةٍ ما، أعلم أنك لن تمسني بأذى مهما حدث ومهما كانت درجة سوئك.. أنت لم تجدني بل ساقتك الأقدار إليّ.. مثلما تعثرت أنا بشمس حين وصلت هُنا، لقد كُنت أرى محبته في عينيك.. التي تسري بداخلك هي محبته هو وشعورك تجاهي يمثل خبراته هو، مثلما أعيش أنا بذكريات وخبرات غسق الراحلة داخلي، أنا أفهمك جيدًا لأنني مثلك ولكن مهما حدث لا يُمكن لأحد غيرنا أن يفهمنا بالدرجة الكافية.. ستكتشف ذلك بنفسك، إن السفر عبر الأبعاد يتنزع منك أشياء ويزرع بك أخرى.. فقط تيقن أنك لن تعود كما جئت أبدًا.

- كيف سافرتِ عبر الأبعاد؟

- بل السؤال الأهم هو كيف سافر عزيز؟ فهذا ليس عزيز هذا البُعد.. عزيز هذا البُعد دفن غسق بيديه فلماذا يبحث عني؟!

- لقد تركت سليمان يحرس الحفرة الكونية التي خلقتها من خوفي، ألا نعلم كيف نكرر صنعها مُجددًا؟! هل يُمكن أن يكون قد وجد مُذكراتي وتسربت طريقة السفر؟!.. لكنني لم أكتبها.

- ألن تبتلع العالم!

صحت فيها قائلًا:

- كيف وجد الحفرة!

- ليس مشكلتي من باعك.

- لا يوجد من يعرف سوى سُليمان، وسُليمان ليس من المُمكن أن يفعلها.

- ألم تدرك بعد أنه لا يوجد شيء مستحيل!

- وكيف أتيتِ أنتِ إلى هُنا، قبل حتى أن تتعرفي على شمس!

***

قبل أن أجد إجابة ذلك السؤال وجدتُ نفسي أتلاشى.. تدور الدنيا من حولي.. ووجدتني فجأة أقف على أرضية مختبري السري في عالمي.. لم أستوعب الأمر في نفس اللحظة. ثم فطنت إلى الأمر.. لقد عدت إلى عالمي.. ووجدت بين يدي الكتاب الذي أعطتني إياه غسق، ظللت أتفحص جسدي في دهشة شديدة، لقد سافرت دون بذلة ولم يحدث لي شيءٌ.. لكني تمددت أرضًا من شعوري بالإعياء.. ناديت على سليمان عساه يكون بالقرب لكنه لم يكن.. فقدت الوعي لفترة لا أدركها بعد من مشقة الرحلة، أشعر أن جزيئات جسدي متذبذبة، وأنني لست أنا الأول الذي أعرفه.. ثم تفقدت كتاب غسق حين استفقت واتجهت للخارج، بينما أسير في ترقب لم أجد أي دليل على وجود أي كائن حي غيري هُنا.. وكان سؤالي كيف وجد عزيز غسق إذًا.. لأنه لو أذيع خبر الحفرة بالطبع لأصبح ذاك المكان مثل يوم الحشر.. من المؤكد أن عزيز سافر بنفس الطريقة التي اتبعتها غسق.. ولكن كيف ولماذا؟!

لا يوجد ما هو أسوأ من أن تشعر بالغباء لشخص مثلي ليس لديه سوى ذكائه.. تشعر أن كُل من حولك خانوك.. حتى ذكاؤك.. أخذت أتساءل كيف حدثت كل تلك التغيرات، كُنت أظن أنني من يُخادعهم جميعًا ليتضح أنني الوحيد الأحمق.. كُنت أظن أني أذكاهم لكي يكشف لي القدر أنني أغباهم!

وجدت سيارتي بالخارج، والمفاتيح ما زالت في مكانها.. أخذتها بينما أحمل خيبتي وكتاب غسق واتجهت لأكتشف في أي شيء أخطأت وكيف؟.. وصلت إلى منزلي، وبحثت عن أمي ولكنني لم أجدها.

وصلت لهاتف المنزل واتصلت برقم سليمان متوقعًا ألا يجيب.. لكنه فاجأني ليُجيب:

- مرحبًا سُليمان.

- يا إلهي! هذا صوتك.. هل أنت شمس!

- ماذا حدث هُنا، أين أنت؟.. ألم نتفق ألا ترحل قبل أن أعود لتأمين المكان؟!

- شمس أنت هُنا، أنت لم تمُت؟!.. يا إلهي!!

- لماذا قد تظن هكذا، أخبرتك أنني سأتغيب لأسبوعٍ واحد وأعود!

- شمس أنت متغيب منذ خمس سنوات!

- ماذا؟!

- قد ظننا أننا فقدناك!

- أين أمي؟

صمت سليمان صمتًا مطولًا ثم قال:

- سأخبرك عندما نلتقي.

ثم أغلق الخط.

شعرت بالرهبة من الرغبة في المعرفة بشيء لأول مرة، تجولت في المنزل وأنا أبحث عن أمي خائفًا من مواجهة حقيقة أنها قد تكون ماتت خلال هذه السنوات الطويلة..

كان كُل ما بداخلي يرتجف.. ركضت في كُل أرجاء المنزل أصرخ وأنادي أمي لكنها لم تُجِبْ، لم تجب!

دخلت غرفتها فلم أجد أشياءها!

أين ذهبت؟!

خمس سنوات! مضت خمس سنوات.. ماذا فقدت؟ ما الذي فعلته بنفسي؟

سقطت أرضًا بينما أشعر أن جدران المنزل كلها تطبق على صدري.. وكلي ألم لأني أدركت أن أمي رحلت بالفعل.. لم تمسح على شعري مرةً أخيرة، لم أضمها، لم تضمني، لم تشم رائحتي ثم تبتسم وهي تقول إنها رائحة الجنة.. لم أكن هُنا!، لابد أنها اعتقدت أني مُت، لقد عاشت ألم فقدي بينما أنا هُنا.. كيف سأكون من دونها، كيف سأعيش بدون أن تخبرني أنني

شمسها ونور قلبها.. أنني من تتنفس به، كيف لي أن أتنفس من دونها الآن.. إنها كل عائلتي وكُل ما أملك يا الله.. أنا فقدت كُل شيء لم يعد لديّ سواك.

كان شمس السابق بداخلي يسخر مني وهو يكرر كلامي عن الموت، أليس الموت هو الحقيقة الوحيدة، وكأنه يسألني مندهشًا لماذا أنت تائه الآن؟! أظننت أن الموت هو موت الأغراب فقط ولن يمس أمك؟

ها أنت من جديد تمتلئ بهذا الغباء!

هذا صراع ذات أقسى مما أحتمل.. أن تكون أنت الحاكم والمحكوم عليه، الظالم والمظلوم.. أن تكون السبب والعواقب!.. أشعر بقلبي ينزف، هذا ليس حُزنًا بل موت مع إيقاف التنفيذ. وكعادتي كُلما فقدت البوصلة لا ألجأ إلا لقبلة الله..

وقفت على سجادة الصلاة أردد:

يا الله، أنا شمسك، أنا هُنا.. أنا عالمك الغبي هل تسمعني؟، أنا عبدك العنيد.. أنا عبدك المُتمرد.. يا الله، أنا من ظن أنه يملك مفاتيح العالم، من ظن أنه يُمكنه إيجاد الطريق.. يا الله إن كُل ما وجدته هو ضياع وتيه.. يا الله أنجدني مني، أنجدني من جشعي وغبائي.. يا الله أنجدني، أنا أتمزق..

رأسي ستنفجر.. اللهم أنزل عليّ برد سكينتك واجمع شتاتي، يا الله لم أكن مُستعدًّا بعد، ظننت أنه لدي وقت.. يا لحماقة عبدك يا الله، يا لحماقته!! لقد كان وعدك حقًّا وأنا من خان وجبُن، كانت كلمتك صدقًا وأنا من كذب.. يا الله!!

انتابني ذلك الشعور الذي لا تظن أنك ستنجو منه أبدًا، شعور الفقد الذي حاربت نفسي من قديم الأزل كي لا يمس قلبي منذ فقدت أبي.. ذلك الشعور الذي جعلني في هذا العُمر أبكي كطفلٍ في الثالثة؛ لأن أمه ليست هُنا، نحن لا نكبر أبدًا حين يتعلق الأمر بالأم. نظل أطفالًا ولكن بدلًا من أن نتمسك بطرف جلبابها، أصبحنا نتمسك بخيطٍ خفي لا يراه سوانا، إنه ذلك الارتباط الفطري الذي لا يمنعنا عنه إلا الموت.

كُلما كانت تخبرني أمي أنه سيأتي عليها يوم وتموت كُنت أقطع ذلك الحديث بأي شكلٍ كان، إذ إنني لم أستطع تخيل يوم دون وجودها، فكيف سأعيش الآن؟!

أتذكر إحدى المرات التي كانت تلومني فيها لأنني لا أقضي معها وقتًا كافيًا وأنني حاولت تبرير الأمر، فابتسمت لي قائلة: "عزيزي، لا تخبرني أنا بذلك، تذكر أن تخبره لنفسك عندما أموت".

وضعت رأسي في وضعية السجود وأنا أبكي وأردد "أمي يا الله".. وفجأة سمعت صوتًا من ورائي يقول:

- لا تقلق، لقد كُنت هُنا من أجلها.

التفتُّ سريعًا وإذا به شمس.. نسختي الأوسم، شمس البُعد الآخر.. جلستُ على الأرض مُنهكًا وأنا أسأله بين بكائي:

- متى حدث هذا؟

- منذ عامين.

انهمرت دموعي بغزارة وهزمني نحيبي المتأخر رغمًا عني.

- ماذا حدث وكيف؟

ضحك شمس وهو يقول:

- يا إلهي أنت مُهتم حقًّا؟

- هل أشكرك لأنك كُنت هُنا؟ نعم يجب عليّ ذلك.. لم تكن وحدها إذًا..

- لا تكن أحمق، أنا لم أكن هُنا من أجلك.. إنها أمي، لم أُرِدْها أن تختبر ألم فقدانك.

- هل تعذبت؟

- آه أنظر لك.. وعينيك تتألق بالدموع! هل هذا لفقدانها أم لغبائك؟

- كيف مرّت خمس سنوات؟!

- لم تصدقني حين قلت لك إنك تعبث بخط الزمن.

- شمس، أنا لا أبالي بخط الزمن ولا كل مجرات العالم الآن.

- لماذا أنت غاضب هكذا، ألست مُعتادًا على الفقد؟

- وماذا تفعل أنت هُنا.. ألم تعبث بخط الزمن مثلي تمامًا؟

- أنا هُنا منذ أعوام يا عزيزي، لقد وجدتك تستأنس حياتي هُناك.. فأتيتُ أنا إلى هُنا.. ظننتك تُريد أن تبدل الأدوار ليس أكثر، ألا تتذكر أفلام المراهقين الحمقاء حين تجد الفتاة من تشبهها فتبدل حياتها معها ظنًّا منها أنها ستصير أفضل؟

- وهل هُنا أفضل بالنسبة لك؟

- آه يا عزيزي، تغريني سذاجتك، ألم تفهم بعد أن كُل تلك الأبعاد ما هي إلا سيناريوهات مُختلفة لقراراتنا الحمقاء.

- مثل غسق التي أتيت من أجلها حين كُنت صغيرًا.. أنت جئت من أجلها فقط أليس كذلك؟ لقد استغليت ذكاءك لإنقاذها من موتٍ مُحقق!

- لا يُمكن لأحد أن يغير القدر.

- لكنها حية تُرزق في بُعدك.. كيف فعلت ذلك؟

- يُمكنك أن تهدم العالم وتحرق البحار وتخمد البراكين، يمكنك أن تسافر ملايين السنوات الضوئية لكنك لن تحيا قدرًا ليس بقدرك.

- شمس.. ماذا فعلت هُنا في تلك الأعوام؟

- دعني أخبرك بشيء، احزن، ابكِ.. اصرخ، لا تترك كُل هذا الألم بداخلك فإنه يجعل قلبك كالحجارة أو أشد قسوة.. لا تهرب مما بداخلك لأنه سيلاحقك دومًا. لا تكن ضعيفًا جبانًا.. وإنما واجه نفسك.

استجديته ألا يرحل ويتركني لأسئلتي.. لكنه تركني ورحل.. دون أن يجيبني على أي سؤال كعادته لكني قررت ألا أيأس، لن أجعل فقداني لأمي يمر هكذا، سأجد تلك الحلقة المفقودة. رغم أن تلك التفاصيل غير المُكتملة تقودني إلى الجنون..

ركضت إلى الكتاب لأقفز على الأسطر لاهثًا أبحث عن أي ثغرة، عن شيءٍ أستطيع البداية منه.. فأجد كلمات غسق تقول:

"كُنت أريد أن أتأرجح من الشك دون أن أصل لليقين أبدًا، فجحيم الشك أفضل من فجاجة اليقين، إن اللحظة التي تعلم فيها بالحقيقة لا يمكن محوها أبدًا، تلك اللحظة

التي يفسد فيها الإدراك سعادتك، مثل لحظة اكتشافنا أن "بابا نويل" مجرد خدعة، وأن "أمنا الغولة" أسطورة مُخيفة تساعد الأمهات في مهمة إنهاء الطعام والنوم المبكر، مثل لحظة معرفتنا أن الحياة دائمًا تملك خططًا مغايرة، وأنه لا وجود للحب الأفلاطوني، وأن حكايات إله الإغريق مجرد أساطير في غاية الإتقان، وأن النهايات السعيدة تتواجد بين أحرف الروايات وفي مشاهد السينما فقط لا غير، اللحظة التي تجد عالمك يتهشم فوق قلبك لسببٍ ستعمله فيما بعد حين تقبل وتثق في اختيارات الله.. ذلك اليقين الذي يجعلك ترمي بروحك في التهلكة وأنت على ثقة أن يد الله ستنقذك في اللحظة المُناسبة".

أنهيت القراءة.. لقد طعنني ذلك الجزء في منتصف قناعاتي، فهذه هي نفس الحجج التي أستغلها للهروب مما أخاف مواجهته، كان هذا الشمس الوسيم الأحمق على حق، فأنا إنسان جبان؛ ولهذا قررت ألا أمكث في جحيم الشك أكثر، وبما أنه لن يخبرني بما فعله هُنا فسوف أكتشف بنفسي، اتخذت هذا القرار ثم ركضت بينما أعي أنني أقترف حماقةً أخرى باتباعي له وهو يسير إلى واقعٍ لا أعرف عنه شيئًا، ورغم أنني لست واثقًا في قدرتي على العثور عليه بعدما رحل إلا أنني تذكرت مقولة الشاعر شيماس هيني: "وهكذا.. رحت أمشي نحو قدري عكس المنطق".

سرت مسرعًا خلفه.. أعرف يقينًا كيف أجده. في عالمي أو عالمه لن يختلف الأمر.. نحن جزآن متطابقان في التفكير من نفس الكون.. وجدته يمشي واثق الخُطى كأنه يعرف هذه الطرق مثل خطوط يديه، لم يبدُ تائهًا على الإطلاق.. دخل حديقة كبيرة تابعة لمنزلٍ ما بالقرب منا، ثم اقترب رويدًا رويدًا من امرأة لم أستطع تحديد ملامحها في البداية، لكني أعلم أنها ليست غسق؛ لأنها أكثر طولًا منها، كما أن غسق هذا البُعد لا زالت في البُعد الآخر، وجدت حوله الكثير من الأصدقاء ليبدو لي أنه عيد ميلاد أحدهم؛ إذ إنهم بدأوا في الغناء بينما كنت أحافظ على مسافة تحسبًا لأي خطأ قبل أن تتحرك الفتاة لتضمه فأحاول تبيُّن ملامحها.. وإذا بها "إيما"!

باغتني شمس حين ناداني.. أخذني إلى غرفة جانبية وألبسني قبعة ومنظارًا شمسيًّا غريبًا.. وكأنه يدفعني للتخفي نوعًا ما.. كان تنكرًا ساذجًا بالنسبة لي لكني طاوعته.. أريد أن أفهم.. لابد أن أفهم.. ما الذي يفعله في عالمي.. ثم أخذني إلى المجتمعين وهو يخبر الجمع أنني صديقه من الأزل، فنظرت إليّ الفتاة وهي تبتسم فوجدتها إيما قالت مازحة:

- يا إلهي! إنكما متشابهان للغاية، إنك تبدو مثل نسخة شمس غير المُحدثة. هل هذا أخوك التوأم الهارب الذي تحكي لي عنه؟

نظر لي في صمت وعلى فاهه ابتسامة نصر، لقد كان يتحرش بي بصمته حتى صار يداهمني شعور بالندم أو رُبما الشعور بالضآلة كُلما طال حديثهما، ووجدتهما منسجمين معًا تمامًا.. يرويان قصة عشق فشلت في الوصول إليها طوال حياتي.. لكنني قررت أن أرجم قلبي بالحقيقة، أن أجبر نفسي على سماع ما أخشى سماعه، أن أستسلم لحقيقة أنني السبب في كُل ما لم أصل له، إنه كان بمقدوري تحقيق أي شيء لكنني لم أحاول بالدرجة الكافية؛ لذا فيُمكنني الآن أن أواجه خسارتي بروحٍ رياضية:

- كيف تعارفتما؟

نظرت إيما إليه نظرة حنونة للغاية وهي تسأل فأجابها:

- فقدنا أنا وشمس أمنا في نفس التوقيت تقريبًا، وقد كان في وجوده راحةٌ كبيرة لقلبي.. كان يفهم الألم الذي أعانيه بل ويشاركني إياه ويشعر به أيضًا.. كُنت أحبه كثيرًا لكنه كان يُخيفني، كُلما حاولت الاقتراب منه كان يصعقني بكلماته.. ولكن أيًّا كان، لقد أصبح هذا من الماضي، أما الآن حدثت المعجزة وصرت التوأم الأصدقاء.

ثم ضمها إليه بينما يتابع:

- لا أدري أي أحمق كُنت عليه مُسبقًا، لكنني حتمًا لستُ

هكذا الآن، إنني أشعر بالسعادة كوني أمتلك الحظ الكافي الذي يجعلك تحملين كل هذه المشاعر ناحيتي حتى الآن..

- لم تكن أحمق يا شمس، وإنما كُنت مُختلفًا.. كان عقلك يعمل بطريقة لا تجعلك تُدرك الأشياء المهمة الأخرى في الحياة ناهيك عن العلم والفيزياء.. وقد كانت عبقرتيك ممتعة في الحقيقة، لم تكن من العباقرة المُملين، وكأن الفيزياء كانت تحمل نفس الولاء تجاهك فجعلتك تبدو بتلك الجاذبية.

تبدّل الطقس فجأة في تلك اللحظة وكأن الطبيعة الأم تشاركني غضبي الداخلي، حيث بدأ الرعد يدوي بشكل قوي حتى ركضوا جميعهم وبقينا أنا وشمس قبالة بعضنا البعض، طلب شمس من إيما أن تسبقه للداخل.. وظل أمامي بمنتهى الثبات وقال:

- هذه هي الحياة التي لم تستطع تحقيقها! هل رأيتها بعينيك؟

اشتد الرعد أكثر، بينما يشتد الصراع الداخلي بيننا بدوره، لكنني كُنت كالأعمى.. لا أرى سوى براكين الغضب المتأججة داخلي:

- كيف تفعل بي ذلك؟! لماذا تفعل بي هذا؟!

- ألم تتقرب أنت من غسق؟!

- يا لك من أحمق، إن غسق تحبك من رأسها حتى أخمص قدميها! كُنت أحاول أن أوفق بينكما فحسب.

صرخ شمس البُعد الآخر وهو يقفز في مكانه غضبًا:

- واجه نفسك يا غبي، أخبرني أنه تحركت مشاعرك تجاهها.. كن صادقًا حتى لو كنت خائنًا.. إنك أخذت كتابها لتعرف كيف يُمكنك إنقاذها أو رُبما كي تسافر لبُعدٍ آخر لترى كيف آلت بها الأمور.. أخبرني أنك شعرت بالخيانة لأنها لم تخبرك بماضيها، إنك مُرتعب لأن عزيز معها الآن، وأنك لستُ هُناك لتحميها.. أخبرني أنك تحاول اكتشاف سر ما حدث وكيف هربت وكيف وجدها عزيز.. واجه نفسك، أنت أكثرنا أنانية، لا تخبرني أنك فعلت هذا من أجلي.. منذ لحظاتك الأولى وأنت تهرب من حقيقة شعورك بها.

اشتد المطر والرعد أكثر، وكانت ومضات البرق تضوي كفلاش كاميرا سريع منذرًا بهطول سيول قريبة.. ركضت في كُل مكانٍ أصرخ وأضرب بيدي في الأرض:

- كيف لا تشعر أنت بذلك؟! كيف تتركها في حين أنك تعلم بوجود عزيز هُناك؟!.. نعم لقد أحببتها، أحببت حُبها حتى ولو كان لك لأني أشاركك نفس الجينات الشكلية.. لم يحبني

أحدهم من قبل يا أحمق، وددتُ فقط أن أعرف كيف يكون شعور المرء حين يكون محبوبًا.

- لم يُحبك أحدهم لأنك لم تعطِ له سببًا كي يفعل، لماذا قد يحب أحدهم شخصًا فظًّا أنانيًّا كُلما اقترب منه أحدٌ تألم كالقنفذ.. أنت لم تثق بالناس مثقال ذرةٍ، لم تتشارك مشاعرك معهم.. كُنت ككتلة من الحجارة لا تملك سوى بعد الإشارات العصبية التي تخبرها كيف تنجو وتبقى على قيد الحياة، أنت لم تُبالِ بموتك حين خضعت لتلك التجربة.. لم تبالِ أن تعيش أمك ألم فقدانك كما تزعم.. لم تُبالِ وأنا أعلم ذلك جيدًا لأني كُنت مثلك.. لكن غسق أنقذتني لأنني سمحت لها بذلك، ولكن ماذا عنك؟ هل تعلم أن غسق هي نفسها الفتاة الجديدة التي جاءت للمدرسة لمدة عام واحد ثم عادت إلى الواحة مُجددًا.. هل تعلم أنني جئت من عالمي لأمنعها من الذهاب لأنني لم أتحمل فكرة عدم وجودها هُناك، هل تعلم أن أبسط تغيير في أيٍّ من الأبعاد يحقق تغيرًا هائلًا في الأبعاد الأخرى.. كيف لعالم مثلك لا يدرك نظرية أثر الفراشة؟

- أنت من جئت لتأخذها من بُعدي لكي تجعلها تقع في حُبك في بُعدك، ألم تخف من هذا التغيير الذي تقول عنه؟!

وقبل أن يرد عليّ غابت الدنيا وأظلمت تمامًا بينما نتحدث، حل الظلام في غضون ثوانٍ بدون مبرر واضح ثم مرت

على رءوسنا صاعقة مفاجئة جعلتني أنظر حولي في خوف لأجدني في مكانٍ اللامكان، إنه مكان كالعدم.. لكني أجد شمس أمامي يقول:

- أرأيت أثر عبثك بالزمن.. ماذا فعلت يا أحمق؟! أين نحن؟!

ليجيبنا صوت مألوف لرجل آخر:

- بل أنا من فعلت.

نظر كلانا لمصدر الصوت.. وإذا به "شمس" جديد.. شمس آخر يشبهنا تمامًا، ولكن يبدو أنه من بُعد ثالث.

- أريد أن أجيبك يا شمس١، أنا من أخذ غسق من بُعدك ووضعها في بُعد شمس٢.

ليقول شمس٢:

- لماذا تدعوني أنا برقم ٢؟!

احتدت نبرة شمس٣ وهو يقول:

- أولاد.. هل يُمكننا أن نخوض نقاشًا حضاريًّا في هدوء؟!

نظرنا أنا وشمس الآخر لبعضنا البعض في عدم فهم، ثم تكالبنا عليه في الأسئلة: "أين نحن؟ لماذا نحن هُنا؟ كيف أتينا هنا؟ هل سنعود لأبعادنا مُجددًا؟".

تأفف شمس٣ بينما يتحرك ذهابًا وإيابًا دون أن يُجيب على أسئلتنا حتى وقف أمامه شمس٢ - كما يدعوه-:

- أنت من جئت إليّ وعرفتني كيف يُمكن أن أسافر بعد الأبعاد؟

ابتسم شمس٣ وهو يقول:

- من المُمتع أن أكون ذا أثر هكذا.. نعم أنا، وأنت كُنت مثل الكلب المُطيع الذي أحرق المزرعة بأكملها واقتنعت بالسفر لأقرب بُعدًا لك وهو ما كان بُعد ذلك الأحمق الذي يقف هُناك.. ثم ذهبت بعدك كي أجعله ينسى ذلك.. لأنه أحمق نسخة بيننا على الإطلاق وخراب العالم سيكون بسبب عبقريته الفذة، بالمُناسبة لا تشعر بالإهانة يا عزيزي شمس١.. أنت تعلم أنه إن زاد الشيء عن حدّه انقلب لضده، يبدو أن عبقريتك الزائدة هي ما جعلتك غبيًّا معميًّا بتحقيق المُستحيل.

صرخ شمس٢ وهو يقول:

- أأنت مُختل يا هذا؟! هل جئت بنا إلى هُنا كي تستعرض نفسك؟

بهدوءٍ ساخر قال شمس٣:

- شششش عزيزي، اخفض صوتك ولا تصرخ.. ألم تتعلم من

خسارة غسق أن الصراخ لا يُفيد؟!

بهدوء مصطنع يقول شمس٢:

- ماذا نفعل هُنا إذًا، هل سنصنع مقارنة بين ثلاثتنا بمختلف أبعادنا ونرى من منا يستحق نجمة فوق جبينه؟

احتدت نبرة شمس٣ وهو يقول:

- بل من منا يستحق الحياة؟

فأسأله:

- لماذا؟

صرخ شمس٣ في حماس:

- آاااه العبقري الصغير يسألني لماذا بدون تحسس، برافو لقد طورت من شخصيتك في الخمس سنوات الماضية.

حاولت تجاهل الغضب المتأجج بداخلي من ذلك المتعجرف، ربما أفهم الآن ما يعانيه الآخرون في صعوبة التعامل معي بينما يُكمل:

- باختصارٍ شديد لأنني أعلم.

نظر لي ولشمس٢ بينما بادلته النظر في صمتٍ مُربك.. إذ كان كلانا يحاول فهم ما يحدث هُنا حتى قطعت الصمت

وأخبرته:

- أين نحن الآن؟

ليُجيب شمس٣:

- نحن على خط الزمن.

- أليس خط الزمن هو مكانٌ افتراضي وهمي؟!

شمس٣: وهل السفر من بُعد لآخر عبر الثقب الدودي هو نشرة الأخبار المُملة صباحًا؟

وإنما هو أمر تم إثباته أكثر من مرة.. ماذا عن خط الزمن؟

تحرك شمس٣ بثباتٍ وهو يقول: هنالك مرة أولى في كل شيء يا عزيزي.

شمس١: ماذا فعلت، كيف جمعتنا هُنا الآن؟

شمس٣: لكُل شيء عواقب.. الآن أنا خربت اتزان العالم حين وضعت غسق ببُعد شمس٢، وأنت يا شمس٢ فعلت ذلك أيضًا حين تسببت بسفر عزيز إلى عالمها.

ليتدخل شمس٢: ولكن أين العدل يا رجل، ألم يؤسس هو حياة في بُعدي؟!

شمس٣: أنت تعلم القواعد يا صديقي.

شمس١: أي قواعد؟

شمس٣: القاعدة الذهبية، ألا تتعلق بأحدهم ولا يتعلق أحدهم بك.. لإنسان يملك قدرات فائقة، لولا التعلق.

شمس١: وكيف تقاوم قلبك؟

شمس٣: يُمكنني أن أتقبل من شمس٢ هذا السؤال ولكن أنت!! أنت اخترت الوحدة دائمًا.

شمس١: لأنني لم أعرف غيرها، لم يكن لدي الفرصة.

تحرك شمس٣ اعتراضًا وهو يضحك:

هذه هي الحيلة يا صديقي، نحن نملك الفُرصة دائمًا، هُناك من يغتنمها مثل شمس٢ وهُناك من لا يأخذها بعين الاعتبار حتى تتلاشى.

شمس١: وكيف يُمكنني تغيير ذلك؟

شمس٣: لا يُمكنك، هذا هو السيناريو الخاص بك الآن.

شمس١: لا يوجد حقيقة ثابتة في هذا العالم سوى الموت..

شمس٣: والوحدة يا عزيزي، أنسيت قاعدتك المفضلة.. لا حقيقة ثابتة في هذا العالم سوى الموت والوحدة.

شمس١: يُمكنني تغيير ذلك.

شمس٣: لماذا تود تغيير قناعاتك؟!

شمس١: لستُ مُجبرًا على التبرير لك.

شمس٣: بلى أنت هُنا بفضلي.

شمس٢: لا أحد هُنا بفضل أحد، نحن الثلاثة سعينا وضحينا بما يكفي لنكون هُنا.

شمس٣: يا اللُّطف! تبدوان مثل الأشقاء وأنا بينكما كابن العم، لكن قوتكما لا تكفي لتتحدا ضدي، أتمنى أن تكونا بالذكاء الكافي لتكونا معي.

شمس١: لماذا نحن هُنا في الأساس؟

شمس٣: هذا سيكون مقرنا السري يا عزيزي، هل تظن أنه يوجد عالم يتحمل وجود ثلاثتنا معًا؟!

شمس١: ومتى سنعود إذًا؟

شمس٣: وحين نتفق، إلى أين سيعود كل منكما؟

شمس٢: ماذا تقصد؟

شمس٣: أنت اخترقت القواعد وجعلت "إيما" تُحبك، فماذا لو أخبرتك أنك مُجبر أن تكمل في بُعد شمس ١ بينما هو سيكمل في بُعدك، كي يجعل إيما أو غسق تقع بدلًا منك.

شمس٢: أليس هذا عبثًا بخط الزمن مثلما تزعم؟

شمس٣: لكل شيءٍ عاقبة، وهذا العبث ما هو إلا بغرض إصلاح ما فسد بسبب كِبرك.

شمس٢: عن أي كِبر تتحدث، ليس أنا من يستعرض الآن ويظن أنه بيده القرار.

شمس٣: تذكرت الآن لماذا شمس١ هو المُفضل لديّ.

شمس٢: ألم يكن أكثرنا غباءً؟

شمس٣: ولهذا السبب هو شخصي المُفضل، إنه لا يُخبئ تهوره ولا يُبالي أنك تدعوه الآن بالغبي.

شمس١: أنا ما زلتُ هُنا!

شمس٣: أترى ما ألطفه! يظننا نُبالي إن كان يسمعنا.

تأفف شمس١ و٢ وهما ينظران لبعضهما البعض، بينما يتحرك شمس٣ ذهابًا وإيابًا.

شمس٣: اجلسا سويًّا واتفقا ماذا ستفعلان وسأفكر أنا إن كُنت سأرضى به أم سأنفذ خطتي الخاصة.

شمس٢: وأنت ماذا ستفعل؟

شمس٣: سأضع كُل السيناريوهات المُتاحة وأفكر كيف

يُمكننا أن ننجو منها جميعًا.

شمس١: ولماذا أنت؟

شمس٣: لأن بكُل الإثباتات، أنا من يفكر بعقله في هذا المكان، أما كلاكما فتملكان خطة موازية.

شمس٢: لماذا جئت إليّ في البداية إذًا طالما أنك بتلك الفطنة؟

نظر له شمس٣ بينما يبدو أنه لمس وترًا حساسًا بداخله، فكأننا وجدنا مشاعر إنسانية تتجسد على هذا الوجه!

شمس٣: وددتُ أن أعلم كيف يكون الإنسان إن كان لديه عائلة.

شمس١: ألم يكن لديك؟

شمس٣: لا وقد كان من المُمتع أن أراقبكما ممتعضَيْن مما ينقصكما أيها المدللان.

شمس٢: أنت تعلم عنا كُل شيء، لكننا لا نعلم شيئًا عنك.

شمس٣: هل تُريد أن تعرف حقًا؟ هل ستتحمل الحقيقة؟

شمس١: أرحنا بها.

شمس٣: حسنًا أنا ولدت في هذا العالم الكبير وحدي..

مات والداي في حادث نجوت منه بمفردي، أو هكذا قال الناس عني لكنني لم أنجُ بحق، كأنني نجوت الموت لأعيشه يوميًّا، ولا أظن أن هُنالك أسوأ من الموت وأنت على قيد الحياة باستمرار.. فقد كُنت كالطفل المُتنقل دومًا، لا أملك بيتًا ولا سريرًا، ولا روتينًا ولا استقرارًا.. كُنت مُجبرًا على أن أكون الطفل الخفيف اللطيف كما أخبرتني عمتي يومًا قائلة: "يا صغيري، كُل ما تجد، لا تتذمر.. كُن خفيفًا في نومك وصحوك، كُن بشوشًا ليحب الناس وجودك".. كما كُنت بمثابة الصدقة الخفية للجميع، كُنت البديل الذي يجب عليه القيام بما يمتنع عنه أي طفل في العائلة، إما أن يستغل ذكائي لأحل عنه الواجب أو في الذهاب إلى البقالة كي أشتري كُل ما يستطيع جسدي الهزيل حمله وحتى أكثر، أتذكر يومًا حين سقط مني البيض من ثقل ما كُنت أحمل.. فجلست أبكي على الأرض شاعرًا بالسخط لأنني سأترك هذا البيض الذي يملك رفاهية الانكسار وأرحل، لم أبالِ ولو للحظة بما سأتعرض له من الضرب أو التوبيخ، أردت أن أسقط وأتهشم لكي تسقط عني كُل مهامي.. كُنت أستيقظ كُل صباح أنظر حولي لأتذكر أين أنا، في أي منزل من منازل العائلة التي كانت مُجبرة على الاهتمام بي حتى اتفق جميعهم على أن أذهب إلى ملجأ الأيتام.. كُلٌّ منهم وجد عُذرًا، إما لأنني كبرت وهم لديهم فتيات يخافون عليهن مني ومن أخلاقي ومن

طريقة تفكيري التي لا يمكنهم الحكم عليها.. أو لأن أن عدد الأطفال كثير ولا يمكن للعائلة الاهتمام بي، لكن الأسباب ليست مهمة المهم هو أنه انتهت بي السبل في الملجأ الذي تعرفت فيه على سليمان صديقي الأبدي، صديقي الذي نجوت معه من أيام جوعنا وهزيمتنا وفشلنا، ضحكنا وبكينا سويًا، بينما كانت لدينا غاية واحدة في الحياة وهي أن نجد مسكنًا، ولسخرية القدر كان مسكننا هو ذراعينا الصغيرين، إذ كانت يده الصغيرة تنتشلني من أحلك المخاوف، ونظل هكذا نتحدث حتى الصباح عن خططنا المستقبلية، وكيف سنكون حين نكبر ونتخلص من ملجأ الأطفال ومن شبح العائلة الذي لم نجده إلا في بعضنا البعض.. وكانت غسق وإيما يذهبان معنا للمدرسة، فقد كُنت أعلم أن غسق من الواحة.. التي حكت لنا عنها وعن تقاليد عائلتها هناك، أما إيما فكان يُحبها سليمان، لكنها كانت حلمه الضائع، التي انضمت إلى حقيبة الأماني التي لن يحصل عليها.. وحين جئت إلى بُعدك في المرة الأولى كان الأمر بمحض الصدفة.. إذ كُنت أتنقل من مكانٍ لآخر حتى وجدت كُل شيء حولي مُختلفًا.. لم أكن أعلم أين أنا وكيف حدث هذا، ظللتُ هائمًا حتى ذهبت إلى المدرسة ووجدتك.. وأنت تعرف الباقي يا شمس٢.. أنت كُنت كُل ما طمحت أن أكونه يومًا، لديك عائلة ومنزل، لديك غرفة وفراش خاص بك.. لديك أخ وأب تختبئ في عباءته

ليلًا حين تخاف، وأنت يا شمس١ لديك أم!، ولديك طموح وهدف. ما افتقدناه جميعًا.. أما أنا فلم أحصل على أي شيء.. حتى سُليمان صديقي. مات وتركني.

كُنت وحيدًا كإبليس العاصي.. مغضوبًا عليه وهائمًا على وجهه فأخذت كبرياءه وصنعت منه عالمًا خاصًّا بي، أصبحت أتمرجح من بُعدٍ لآخر حتى اكتشفت ذلك المكان السري، اكتشفت بوابة العالم، بعد إبحاري في علوم الفيزياء.. إذ أصبحت قادرًا أن أعيش كُل يوم تجربة جديدة، حتى مرت أعوامي على هذا الحال وأصبحت متمرسًا ويُمكنني اختيار البُعد الذي أذهب له، ثم جاء يوم قررت فيه أن أجد غسق وإيما، وأرى كيف انتهى بهم الحال، لقد كُنت في بُعدك يا شمس٢ حين اكتشفت أن غسق قُتلت، لذا شعرت أنه يجب أن أنتقم لذلك، كانت فتاة نقية لا تُريد سوى السلام وتناول بسكويت القهوة، شعرت أنني أنتقم لطفولتها وطفولتي حين وجدتها مُهددة في بُعدك يا شمس١ فأخذتها معي وذهبت بها إلى البعد الآخر لـ شمس٢.. لم تكن المسكينة على دراية بما يحدث حتى وجدت كُل ما حولها مُختلفًا.. جلست معها حينها أسألها عما تُريد في هذه الحياة.. وحين قالت إنها تريد أن تدرس الفنون ساعدتها في الالتحاق بها، أخبرتها إن هذا سيكون سرنا الصغير ولا يجب أن تخبر أحدهم أو أن تحاول التواصل مع عائلتها بأي شكلٍ كان؛ ولذلك حين رأتك يا

شمس٢ وقعت في حُبك، لأنك كُنت منقذها في بداية الأمر، تحملت منك غضبك وعبثك لأنها في قرارة نفسها تعلم أنها جاءت هُنا لسبب أن محبتي لها ومحبتك لها محبة خالصة.. لذلك فمن كُل الأبعاد أنتما النسختان المفضلتان لي.

شمس٢: إذًا أنت السبب في كُل شيء من بداية الأمر.

شمس١: لماذا نحن هُنا؟!

شمس٣: من أخبرك أنك هُنا حقًّا، بل من أخبر كليكما أنكم موجودان من الأساس.. ألا يُمكن أن أكون من خلق كل ذلك بعقلكما الساذج، وأنه ليس هُناك إيما أو غسق ولا أبعاد كونية.. رُبما أنتم تجربتان بمختبري، ذلك المُختبر الذي صنعت به حفرتك الكونية يا شمس١.. كيف تتيقنان أن كُل ذلك ليس لعبة أو تجربة خاصة في بحث ما .

شمس٢: هل أنت بائس لدرجة أن تتسبب بقتلك على يد نفسك؟

شمس١: بل إنه يُريدنا أن نفقد الثقة في كُل ما هو حولنا.

شمس٣: آه أنظر إليك تتحدث عن الثقة، هل لديك ثقة بأحدهم لتفقدها الآن، أنا مُنبهر بذلك التحول. أتعلم كيف يبدو الأمر من هُنا؟ إنك أحببت شمس٢ أكثر من حُبك لغسق أو إيما.. كعادتك أحببت العلم والمُستحيل، أحببت سيناريو

حياته وكيف آلت به السُّبل إلى شخصيته الآن. انظر يا شمس٢ لديك مُعجب خفي هُنا.

شمس٢: لتتعفن في الجحيم.

شمس١: لا يُمكن أن تكون أقدارنا مقيدة ببعضنا البعض، أعني أن غسق ماتت في بُعدٍ، بينما هي حية تُرزق في آخر.

شمس٣: من أخبرك أن هُنالك من يُدعى غسق؟! أنت أغبانا حقًّا ألا تأخذ أيًّا مما قلته بمحمل الاعتبار؟ شمس٢ مُحق أنك تظن أنك النسخة الأذكى وهذه آفتك.

شمس٢: تعني أن كُل ما بذاكرتي الآن من صنعك، ولا شيء منه حقيقي؟

شمس٣: سأغير أقوالي، ستكون أنت المُفضل الجديد لدي، لأنك على الأقل تستمع لما أقول.

شمس٢: ولكن لماذا تتكبد كُل ذلك العناء؟!

شمس٣: مثلما أخبرتك لأنه لا عائلة لديّ، لا عمل.. لا شيء سوى عبقرية وهوس.

شمس١: وما هي فائدة اختبارك؟

شمس٣: هذا هو السؤال الذي أنتظره من البداية، يُمكنك أن تقول إنني أردت أن أرى كيف هو شعور أن تجعل أحدهم

يختبر الفقد، وماذا قد يفعل لكي يكمل النقص بداخل روحه.. أردت أن أرى مدى سوء الإنسان وقبح غرائزه.

شمس١: هذا لا ينطبق علينا، نحن نعاني النقص ذاته.. نقص العائلة، المحبة.

شمس٣: هل لديك الثقة الكاملة في ذكرياتك ومعلوماتك عن ذاتك في تلك اللحظة؟

شمس١: لا يُمكنك أن تخلق ذكريات متصلة بيننا، فلنقل إنك عبثت بذكريات كلٍّ منا على حدةٍ! فلا يُمكنك خلق ذكريات متصلة بيننا بداخل خلايانا العصبية.. لا يُمكنك خلق ذكريات قديمة متأصلة بذلك القدر.

شمس٣: أيها العبقري الصغير أعلم أنه لا يُمكنني خلق ذكريات كاذبة، ولكن يُمكنني تحفيز خلايا المخ لخلق ذكريات بنفسها، لا يُمكنني التحكم بها، ولكن يُمكنني ابتزازها لتقوم هي بالعمل كله.. لا تجعل الفيزياء وواقعتها تُنسيك قوة وذكاء عقلك.

شمس١: يا عزيزي، إن الفيزياء عبارة عن كُل ما هو خارج عن المألوف، نحن هُنا الآن بفعل الفيزياء.. فأنا لا أصدق أنك أنت من خلق كُل تلك الذكريات وإن خلقت الذاكرة فكيف تخلق الشعور؟ كيف تخلق الشعور بالفشل والإحباط

والمقاومة والمجازفة؟!.. كيف تصف الحزن والفقد واليتم الذي شعرت به في أعماق قلبي؟!.. لا يُمكن لشيء في هذا العالم أن يحقق ذلك.. يُمكنك أن تخلق الفراق ولكن لا يُمكنك أن تخلق الألم، يُمكنك أن تخلق الحب ولا يُمكنك أن تخلق المشاعر المتأججة واللهفة، يُمكنك أن توهم العقل ولكن لا يُمكنك أن تبتزه ليفرز هرمونات دون وجود حافز المشاعر أيًّا كانت.

شمس٣: أيها العبقري الصغير، إن خلق الذكريات وحدها كافٍ لتحفيز المشاعر، ألن تبكي بحرقة إن ظننت أن أمك ماتت حقًّا، حتى وإن لم يكن الأمر حقيقيًّا، يا رجل! إنني بكيت من تخيل سيناريوهات سيئة أكثر مما بكيت لحدوثها في الحقيقة.

شمس٢: ما تفعله الآن هو ابتزاز وليس الحقيقة، أنت تحاول تعزيز شكوكنا في كُل ما حولنا.

شمس٣: بل هذا ما حدث! أنا لا أحاول حتى.

نظر شمس١ و٢ لبعضهما البعض وبدأ الشك يعتريهما رغمًا عنهم.

شمس٢: ماذا لو أن هذا الشك هو جزء من تجربتك؟

شمس٣: لا يُمكنك أن تتأكد من أي شيء طالما لم أخبرك به،

لسوء حظك.

شمس١: حتى وإن أخبرتنا لن يصدقك أحد.

شمس٣: أتصدقان أنكما تنتقلان من بُعدٍ لآخر وأن كلاكما استقر بحياة الآخر ووجد هناك ما يفتقده، تصدقان كُل الاختلافات التي بينكما وبعالمكما ولا تصدقاني حين أقول إن ذلك كله من وحي خيالي؟ هيا يا رجل لم أكن أظن أنني بذلك الإتقان.

صرخ شمس٢ بغضبٍ جعل الآخرين ينظران له في ترقب حتى تدخل شمس٣ مُجددًا وقال:

شمس٣: هل تودان العودة إلى أبعادكم الأصلية مُجددًا أم تودان التبادل؟

شمس٢: ألم يكن كُل ذلك غير حقيقي؟

شمس٣: رُبما أنكما على حق ورُبما أن كل ما أقوله هو كذب، ولكن ألا تودان المجازفة والعودة أم ستبقيان هُنا؟

شمس١: سأعود إلى بُعد شمس٢.

شمس٢: لكنني أريد العودة إلى بُعدي أيضًا!

شمس٣: ها هما يتشاجران مجددًا.

شمس٢: أريد العودة إلى بُعدي.

شمس٣: ولكن ماذا عن إيما المسكينة هنا يا عزيزي؟

شمس٢: يعود شمس١ ليُكمل من حيث انتهيت.

شمس٣: لا يجوز، سيعود كُلٌّ منكما ليُكمل ما توقف عنده، سنلتقي مُجددًا.

***

قبل أن أتمكن من الرد وجدت نفسي أغرق في ظلام طويل وبعده فجأة وجدتني قد عدت إلى بُعد شمس٢ وأمامي غسق وكأنه لم يمر كُل ذلك الوقت، كأنه لم يحدث شيء.. وجدتني أجلس معها في نفس المكان وكانت تقول لي:

- ما بك؟ لماذا يبدو وجهك شاحبًا فجأة؟ هل تذكرت شيئًا ما؟

أخذت أتلفت حولي لأتأكد أنني فعلًا في بعد شمس ٢ وأن غسق إلى جواري.. ثم قلت لها وأنا أتنهد:

- يُمكنك أن تقولي إنني تشاركت الخبرات مع شمسٍ آخر وصرت أعرف كيف جئتِ إلى هُنا!

- فعلًا.. وماذا عن عزيز؟

- هذا ما سنكتشفه ولكن الآن يجب أن نختبئ.

- سيجدنا مُجددًا.

- هناك احتمال كبير أن عزيز من بُعدٍ ثالث من الأساس، ليس بالضرورة أن يكون من بُعدك، ماذا تودين أن تفعلي؟ هل تودين الهرب أم البقاء والمواجهة؟

- هل ستجدي المواجهة أي نفع؟

- لا يُمكنك الهرب دائمًا، ولكن أحيانًا يُمكنك الاختباء حتى تصبحي بالقوة الكافية للمواجهة.

- سأختبئ مؤقتًا إذًا.

- إذا كان هذا ما تُريدين فعله سأتركك تفعلينه، أعلم أنه يُمكنك أن تواجهي الآن لو وودتِ، ولكن لا بأس باستراحة صغيرة لتستجمعي شجاعتك.

حزمت غسق حقيبتها وتحركت إيابًا وذهابًا بينما تنظر إلى مكتبتها بحسرة.. ثم أخذت تجمع ما يُمكنها جمعه قبل أن تحضر بذلتي وتضعها أمامي:

- هذه أمانتك.

- ستحصلين على شمسك مُجددًا في الوقت المُناسب وستعودين إلى مكتبتك قريبًا، أعدك بهذا.

- يوجد المئات من شمس والمئات من غسق في هذا العالم، أعلم أنه إن قابلتك في مائة بُعدٍ مُختلف سأتعرف عليك من بينهم جميعًا.

- لماذا أنا؟

- لأنك وحدك من أعطيتني حرية القرار في حياتي، وطوال الوقت.. لطالما عشت مُجبرة على قرارات من حولي، حتى شمس كان يظن أنه لم يكن بحاجة إلى موافقة مني كي يحميني.. لطالما كُنت مجبرة! حتى مجيئي إلى هُنا لم يكن عن طيب خاطر ولكن معك لم يكن الوضع كذلك.. كُنت صاحبة الرأي في كُل الأحوال ولذلك سأتعرف عليك من بينهم جميعًا وسأظل مُمتنة لك للأبد.

- لو أخبرتك ماذا فعلتِ أنتِ بي، لذُهلتِ من قدرتك على تغييري، لقد كُنت شخصًا آخر أكثر قسوة، لا أشبه أي شمس تعرفينه. كنت شخصًا يتحدث بالمنطق والأرقام فقط.. لا يفقه عن المشاعر شيئًا، كانت المشاعر بالنسبة لي هي مصدر الضعف، هي سبب شقاء الإنسان، حتى إنني صاحب مقولة: "يتناسب غباء الشخص مع مقدار عاطفته". حتى رأيتك وتحرك شيء بداخلي.. بالبداية ظننت أنها من أثر خبرات شمس هنا.. ثم أدركت مع الوقت أنها مشاعري الخاصة، إنني أكنّ لكِ نوعًا مُختلفًا من المشاعر، نوعًا من المحبة لا تتواجد

بين أي رجل وامرأة وإنما بين الرجل ومنقذه.. أنتِ أنقذتني من عتمة القلب، من صقيع الوحدة، جعلتني أدرك ما أفتقده في حياتي وقيمة كُل ما لم أحصل عليه. لطالما كُنت أنكمش داخل عقلي، أستدفئ داخل جسدي دون حاجة لذراعين كي تعانقاني، كانت كل الأشياء تبدو لي مُمكنة، ولا يوجد ما لا أستطيع فعله حتى تحولت إلى حفرة كونية سوداء كالتي أنفيت عُمري في البحث عنها، حفرة تبتلع كُل المشاعر الإنسانية وتفقدها من شدة الاحتياج، ظللتُ أبحث عنها، وإذا بها موجودة بداخلي.. حتى إنها ابتلعت كُل ما بداخلي من نور وتركتني وحيدًا في العتمة إلى أن طرقت بابك، كأنني كُنت أبحث عني فوجدتك.

- حين يضيق بك عالمك وتشعر بأن الظلام يلتهمك، تعال إليّ دومًا.. لن أهديك عود ثقاب ولن أدلك على النور.. وإنما سأجعلك تنظر بداخلك وستجد كُل ما تفتقده، أنا لم أجد ما وجدته بك من قبل، أنت طاقة مُتجددة لا تفنى، يوجد بك من المحبة والنور ما يكفي المجرة بأكملها.. أنت من تُنيرني الآن.

نظرت لها في حنانٍ بالغ، إذ كنت أعلم أنه فراق لا محالة ولكن كان يكفيني أن أحدهم اختارني دون أن يدعي حقيقة ليست بحقيقتي، دون أن أخبئ جانبي العبقري أو الأحمق..

تحركنا بعدها استعدادًا للهرب، لكننا فور تحركنا من المكان وجدنا عزيز واقفًا ينتظرنا:

- أستذهبان من دوني؟

ضحكت وأنا أقول: مُستحيل، وأفوت شعور الانتصار عليك؟

تحرك عزيز خطواتٍ داخل المنزل وهو يقول لغسق:

- أين تذهبين يا عزيزتي؟

فأجبته بدلًا عنها: جدولنا مزدحم اليوم.. هل يُمكن أن نراك غدًا هُنا في نفس الوقت تقريبًا.

فضحك عزيز باصطناع وهو يقترب من الباب حتى وقفت أمامه: نحن لم نرغب في جرحك ولكن ألا تتذكر أنك قتلت غسق بالفعل.

- إذًا هذه شبحها؟

- بل توازن البيئة.

نظر لي عزيز في عدم فهم فسألته: هل يُمكنك أن تخبرني أنت كيف أتيت إلى هذا البُعد؟

- لا أعلم، كُنت أتجول سكيرًا في أحد الأيام حتى وجدت

تحركنا بعدها استعدادًا للهرب، لكننا فور تحركنا من المكان وجدنا عزيز واقفًا ينتظرنا:

- أستذهبان من دوني؟

ضحكت وأنا أقول: مُستحيل، وأفوت شعور الانتصار عليك؟

تحرك عزيز خطواتٍ داخل المنزل وهو يقول لغسق:

- أين تذهبين يا عزيزتي؟

فأجبته بدلًا عنها: جدولنا مزدحم اليوم.. هل يُمكن أن نراك غدًا هُنا في نفس الوقت تقريبًا.

فضحك عزيز باصطناع وهو يقترب من الباب حتى وقفت أمامه: نحن لم نرغب في جرحك ولكن ألا تتذكر أنك قتلت غسق بالفعل.

- إذًا هذه شبحها؟

- بل توازن البيئة.

نظر لي عزيز في عدم فهم فسألته: هل يُمكنك أن تخبرني أنت كيف أتيت إلى هذا البُعد؟

- لا أعلم، كُنت أتجول سكيرًا في أحد الأيام حتى وجدت

هذا المكان، في البداية ظننته وهمًا حتى تحركت، وإذ بي أرى غسق هُنا حية تُرزق.

- حسنًا وماذا حدث لغسق التي تعرفها؟

- اختفت يومًا ما، هكذا.. دون أي جثة أو أي دليل على وجودها، أخبرنا الجميع أنها ماتت.

- أخشى أن أخبرك أنك هُنا في بُعدٍ آخر، هذه ليست غسق التي تعرفها وتعرفك، وإنما أنت ابن عمتها الذي تعلم أنك ترغب في الزواج منها لكنها هربت وتزوجت بي، فلا يُمكنك أن تأتي هُنا الآن وتهددنا.

- ما هذا العبث؟! إنها زوجتي.

- ما هو دليلك؟

أخرج عزيز قسيمة حافظة جلدية من جيبه وأخرج صورة زفافه منها.. وكانا يبتسمان في الصورة كعاشقين جديدين.. وأخذ ينظر لنا في تحدٍّ واضح ويقول صارخًا:

- هل هذه دليل كافٍ لك؟

تقدمت غسق وهي ترتعش ثم وقفت أمام عزيز وأمسكت بيده وهي تنظر إليه ثم بدأت بالحديث:

- عزيز أنت صديقي منذ وعيت على تلك الحياة، أنا أفتقدك

كثيرًا لكنني أفضّل الموت على أن أكون زوجتك.. أرجوك تفهمني.

- أنتِ تُحبيني، غسق تذكري كيف كُنتِ تشعرين معي.

- أنا أحبك كثيرًا ولكن ليس ذلك الحب الذي يجعلني زوجتك يا عزيز، أحبك مثلما أحب أمي وأبي.. أنت أخي لا يُمكن أن تكون أكثر من ذلك.. ألا ترى كيف آلت بي الأحداث في كُل تلك الأبعاد حتى لا أكون معك.. عزيز أنا قُتلت في بُعدٍ ما كي لا أتزوجك!

- هل تفضلين الموت على البقاء معي.

- هذا ما يبدو.

- لماذا؟! ألا تعلمين كم أحبك؟!

- بلى وأعلم كم أضعت من عمرك دون جدوى.. ولكن هل يكفي أن تحب أحدهم ليكون معك؟

- لا يكفي!

- لو كان هذا كافيًا لكنت زوجتك الآن، لكنت معك بين ضلوعك ولن تركض لاهثًا بحثًا عني في كل بقاع الأرض.

تحرك عزيز حتى اقترب منها أكثر ويهمس:

- إن عقلك مشوش بسبب كُل ما حدث فحسب، سنجلس ونتحدث، الواحة كُلها ستحتفي بيوم رجوعك.

لم تتحرك غسق بل ضمته إليها وهي تقول:

- عزيز أنت تعلم أنني لن أعود معك، إن كان هُناك من يعرفني في هذا العالم الكبير بأبعاده المُختلفة سيكون أنت، أنت من عهدتني طفلة ورأيت جموحي وعنادي في مراهقتي، أنت من رأيت كيف كانت أحلامي كبيرة وأنت من ساعدني في بعضها؛ ولذلك فأنت أكثر من يعلم أنه لو كانت لدينا أصغر فرصة في هذا العالم أن نكون سويًّا لفعلتها، ولكن وإن أجبرتني أن آتي الآن سأهرب مُجددًا وستفتح جراحًا لم تُشفَ تمامًا بعد.

- لِمَ كل هذا؟!

ابتعدت غسق عنه ونظرت له وهي تقول:

- لم يخفق لك قلبي، لم أشعر بما شعرت به هُنا مع رجل واحد من ثلاثة أبعاد مُختلفة، لقد أحببته باختلافاته الثلاث وشعرت تجاهه بالخفقة ذاتها وهو يحاول إنقاذي دومًا، أحدهم أنقذني منك والآخر أنقذني من الوحدة والأخير أنقذني من نفسي.

نظر عزيز لشمس في سخطٍ واضح لكنه تراجع وهو يقول:

- لا تجعلي عيني تراكِ أبدًا، أنتِ حرة مني للأبد.

توقفت غسق وبدا عليها السعادة المختلطة بالحزن ثم ركضت تجاهه بينما رفع كفه أمامها وهو يقول:

- لا تقتربي مُجددًا، أنتِ لستِ هُنا.. أنتِ مُتِ بالفعل، لا تجعلي رائحتك تلتصق بي أكثر، لا تكوني بتلك القسوة.

ثم رحل.. رحل هكذا بتلك البساطة بعد مواجهة حقيقية واحدة مع غسق الأكثر اتزانًا وحكمة من التي ماتت!

نظرت لها بدهشة ساخرة:

- ألم تستطيعي فعل ذلك قبل أن يقتلوك؟

- أنا كُنت شخصًا جبانًا، يُمكنني أن أقاوم كُل شيء لكنني أفضّل الموت على المواجهة، لم أكن أعلم أنه يُمكنني الوقوف أمام أحدهم وخوض نقاش عن حقيقة شعوري.. كُنت أركض دومًا، أختفي، أغضب لكنني أبدًا لم أتحدث.

- وما الذي جعلك تواجهين الآن؟

- إنني قضيت عُمري بأكمله في استراحة المحارب التي تحدثنا عنها.

- أتعلمين أنني لطالما كُنت ساخطًا على عالمي وحياتي

أيضًا لدرجة أني لم أدرك أن كُل ما يحدث ما هو إلا نتيجة اختياراتي، أنا لم أرغب في الوحدة حقًا وإنما أردت السكينة دون أي جهدٍ يُذكر، رؤيتي الآن لكل الاحتمالات المُمكنة جعلتني أدرك أن أفضلهم هو ما خلقني الله عليه.

- هل تُريد أن تعود لبُعدك؟

- أظن أنني مُستعد لذلك.

- هل تظن أنك ستتذكرني؟

- حتى وإن لم أستطع، قلبي سيفعل دومًا.

اقتربت مني غسق، حتى بدأت ضربات قلبي تتسارع، وما إن لمست يدي حتى تبخرت واختفيت كأنني لم أكن أبدًا.

***

في نفس الوقت عاد شمس٢ ليجد إيما في الحديقة ومن حولهم أصدقاؤهم كأنه لم يغب للحظات، فنظر حوله في ثباتٍ بينما كُل ما بداخله يتخبط.. نظرت له إيما وهي تتحسس شعره:

- عزيزي أنت بخير؟ لماذا تتعرق هكذا؟!

أخذت أنظر حولي لا أعلم ما الذي حدث.. فقلت لها:

- هل يُمكن أن نذهب للمنزل؟

- بالطبع، هيا بنا.

تحركا في اتجاه المنزل، لكنه ظل ينظر حوله وهو يتساءل هل يكون كل هذا من وحي خيال المريض شمس٣ أم أنه حقيقي! ظل يراقب أثر قدميه على التراب بينما يتحرك شاعرًا بالسخط والغضب، لقد أتى إلى هُنا فقط ليتحدى شمس لكنه لا يود البقاء، لا يهتم بإيما أو بخلق حياة هُنا، كان يحاول استفزازه ليعود شمس الأصلي لحياته ويترك له غسق، كيف انتهى به الأمر هُنا.. نظر إلى إيما بينما تراقبه في ترقب:

- عزيزي ماذا حدث، لماذا أنت مرتاب هكذا؟!

- أتعرفين شعور أن يكون المرء تائهًا لا يعرف ماذا يفعل هُنا وكيف آلت به السُّبل إلى ذلك التيه؟

- أتشعر بالتيه؟

- لماذا أنا هُنا الآن؟

- ألا يكفي أن تكون هُنا من أجلي؟

- ليس من المفترض أن أكون هُنا.

- ولكن ألم تسعَ لأعوامٍ كي تكون هُنا الآن؟ ألم تتمنى

فرصة أن نكون سويًّا كما أخبرتني مرارًا.

- أظنني أحببت فكرة التحدي فقط لا غير، أحببت الوصول إلى ما فشل به غيري وما فشلت أنا به من قبل، ولكني لا أود البقاء في هذا.

- ما قصدك؟

- أود الذهاب من هُنا، أعتذر لكنني لا يجب أن أكون معكِ الآن.

- اكتشفت هذا لتوك!

- أجل إني أريد الرحيل فحسب، لا أهتم بشعورك حتى.

- شمس ماذا بك؟! كيف لا تهتم؟!

- لماذا لم تهتمي بي عندما ظللت أحبك لأعوامٍ، لماذا أبديتِ اهتمامك الآن، هل لأنني أبدو أوسم.. ألم أعجبك مُسبقًا، هل أنتِ بتلك السطحية وتنتظرين مني ألا أكون مثلك؟ يُمكنك أن تقولي إنني مللت منكِ.

قالها شمس٢ بينما يتحرك في مشهد سينمائي ساخر:

- أو ربما أكون قد وصلت لهدفي ولم يعُد هُنالك قيمة لوجودك.

قالت له إيما وهي تقاوم دموعها:

- ليس لأنك أوسم بل لأنك حاولت، أنت لم تحاول أبدًا من قبل.. لم تبذل أي مجهود.

- آه يا عزيزتي، أنتِ بحاجة ماسة إلى التفرقة بين المجهود الحقيقي والمزيف إذًا.

- ولماذا قد يبذل أحدهم مجهودًا من أجل اللاشيء؟

- لأنه شخص سيئ يا صغيرتي.. لأنك أداة قد تساعده في تحقيق هدفٍ ما، أو رُبما لأنه يشعر بالملل ووجدك هدفًا مُغريًا.. هُنالك الكثير من الأسباب! كيف تسألين هذا السؤال الساذج. ألم تقابلي بشرًا لا يهتمون سوى بأنفسهم ورغباتهم في هذا العالم؟

- فلتذهب للجحيم.

- يا لقسوتك.. سأفتقدك في هذا الجحيم.

تحرك شمس ساخرًا ضاحكًا تاركًا إيما غارقة في دموعها، بينما تنظر له في عدم استيعاب تتساءل كيف ولماذا حدث ذلك؟! ومن الذي كان معها من لحظات؟! وما إن ابتعد عنها قليلًا حتى بدأ يصرخ: هيا أيها الأحمق، ها أنا كسرت تعلقها بي، هل يُمكن أن تُعيدني إلى بُعدي الآن؟

اهتزت الأبعاد من حوله ثم سمع صوت شمس٣: لماذا تود العودة؟

صمت شمس٢ قليلًا بينما يُفكر: لأنني من يجب أن يكون هُناك ليس هو.

شمس٣: ماذا لو أخبرتك أنه لا يوجد شمس هُناك.

شمس٢: أين ذهب؟

شمس٣: ألاحظ أنك مُهتم به أكثر من اهتمامك بحياتك وعائلتك وحبيبتك؟

شمس٢: أين ذلك اللعين!

شمس٣: أجب أولًا، لماذا؟

شمس٢: لأنني أكرهه.

شمس٣: لأنه استطاع سرقة قلب غسق أم لأنك مهما سعيت لم تستطع أن تكون مثله؟

شمس٢: ولماذا أود أن أكون مثله! إنه أحمق، هو من جاء ليكون مثلي.

شمس٣: أنت تعرف أن هذه ليست الحقيقة، إنه جاء لهدف التعرف على الوجه الآخر من نفسه.

شمس٢: إنه غبي اختار طبيعته في النهاية.

شمس٣: ألهذا تكرهه؟ لأنه لم يشعرك بتميزك.. لأنه لم يحاول التشبه بك بل رآك على حقيقتك واتبع خطاه وليس خُطاك.

شمس٢: كلانا يعلم أنه مخطئ.

شمس٣: أخبرني أنت أنا لا أعلم شيئًا .

شمس٢: هيا أعدني إلى بُعدي.

شمس٣: أخبرني.

صرخ شمس٢ به: هيا أيها الأحمق أعدني الآن.

شمس٣ بهدوئه المُعتاد: هيا يا عزيزي أخبرني أولًا، اعترف لنفسك ليس لي، لأنني أعلم لماذا تكرهه.

شمس٢: قُل لي إذًا.

شمس٣: الاعتراف هو ما سيُعيدك لبُعدك، هيا تحلى بالشجاعة الكافية.

صمت شمس٢، ثم جلس أرضًا بينما يضع يده على رأسه هو يصرخ: لأنه الأطهر.

شمس٣: وكيف هذا؟

شمس٢: لم تمحُه الأيام، لم تلوثه.. وإنما ظل كما هو، لم يخطئ وإنما حافظ على تلك النبتة الطيبة بقلبه، تلك التي لو انتزعتها لفقدت نفسك وصرت تابعًا لأهوائك وغرائزك مهما حاولت.. لم يكن شخصًا ملائكيًّا لكنه كفى الآخرين شره، لم يروا منه سوءًا.. كأنه لم يمر بحياتهم، حين جاء لعندي ذلك اليوم وجدته لا يهتم سوى بالعلم، فتركته يلتقي بغسق لعلمي بدواخله وبأنه لن يؤذيها ولن يؤذيني لكنني لم أظنه أنه سيكون نسخة أفضل مني حتى بالنسبة لها، ظننت أنه قد يختارني أحدهم بسوئي مهما حدث.

شمس٣: من قال إن غسق قد اختارت شمس١؟!

شمس٢: أعلم ذلك.

شمس٣: أنت أحمق لا تعلم شيئًا، غسق قد اختارتنا نحن الثلاثة وأحبتنا جميعًا ونحن أحببناها بالقدر ذاته.

شمس٢: ماذا تقصد؟

شمس٣: غسق أحببتك بسوئك وأحبتك بنقائك وطهرك ثم أحبتك مُجددًا لعهرك وطهرك معًا.

شمس٢: أعدني لها أرجوك.

صمت شمس٣ وجلس شمس٢ أرضًا يبكي صارخًا: أعدني

بلا رجعة.

أخذ يصرخ عاليًا هكذا حتى تلاشى شمس٢ في الفراغ، كما تلاشى من بعده شمس١ وشمس٣.

***

الحقيقة

لم تمر سوى لحظات حتى نهض شمس، ونظر حوله ليجد أمامه "ماجد حقي" تلميذه في جامعة زويل التي يعمل بها شمس كأستاذ دكتور، ثم أخذ يخلع جهازًا عن رأسه بينما يتحرك ماجد قبالته في حماس وهو يسأله بلهفة شديدة:

- أخبرني.. كيف كانت التجربة؟ هل نجحت؟.. ما رأيك؟ لا أستطيع أن أنتظر كي تحكي لي كل شيء.

نظر له شمس في تيه وهو يتساءل:

- تجربة؟ تجربة ماذا؟!.. هلا شرحت لي الأمر مجددًا؟ عقلي مشوش للغاية.. لتشرح لي كل شيء أرجوك.

تأهب ماجد للحديث وهو ينظر لشمس وهو يقول:

- هذا طبيعي جدًّا.. ومتوقع أن يكون هناك أثر طفيف ومؤقت على الذاكرة.. لا أعلم ما عشته بداخل الجهاز لأنه مُعد لكي يُهيئ لكل فرد تجربة فريدة خاصة به بناءً على خبراته الشخصية المُختلفة وإشاراته العصبية، لكن هذا الجهاز كما أخبرتك مُسبقًا يمكنه محاكاة الواقع من ثلاثة منظورات مُختلفة، كما قسمها "فرويد(9) "، يحاكي الواقع من منظور "الأنا العُليا(10) " و"الأنا(11) " و"الهو(12) "،

يجعلك ترى شكل حياتك بناءً على النظريات الثلاثة السابقة، كيف كانت ستكون الحياة الأولى طبقًا للأنا وحياتك الثانية طبقًا للهو والثالثة طبقًا للأنا العُليا، حيث ستعيش صراعاتك الداخلية وتقسم شخصياتك الثلاث وكأنهم أفراد منفصلون عنك تستطيع أن تحكم عليهم بمنتهى الحيادية بعدما تتأكد أنك لا تنتمي إليهم، وأقوى نسخة فيهم هي ما ستتحكم في النهاية، إن هذا النموذج يجعلك تواجه مخاوفك ورغباتك الداخلية، تواجه نفسك وتنتصر على صراعاتك حتى تستطيع إنهاء الرحلة.. إذ يجب عليك أن تعترف بشكل الحياة التي تريدها في نهاية المطاف، وذلك بعدما تواجه أقسى اختيارات حياتك وأصدقها.. بعدما تواجه رغباتك الدفينة التي أخفيتها في أعمق غرف الذاكرة منذ الطفولة.. دون أن تعلم أن تلك الغرفة هي الغرفة المتحكمة بكل تصرفاتك، ستظن أنك تخلصت منها لكنك ستدرك كيف أنها تتحكم بكل شيء من أصغر تصرفاتك لأعظم قراراتك، وأنها تجعلك تواجه الطفل العنيد الذي بداخلك، الطفل الذي نعيش دومًا لإرضائه.. ذلك الطفل الذي يعيث بك فسادًا ويجعلك تصرخ في غضب حين تفشل في تحقيق ما ترغب به، هذه التجربة الفريدة هدفها أن تكون هي من يتحكم بك حقًّا ويرشدك إلى كيفية ترويض هذا الطفل الدفين الذي لن تستطيع كبح جماحه بسهولة.. دعني أشرح لك الفرق بينهم مجددًا؛ لأنني

أعلم أن مفاهيمك مختلطة الآن.

إن منظور "الهو" كما يراه فرويد هو الجزء الأساسي الذي ينشأ عنه فيما بعد الأنا والأنا العُليا، ويتضمن الهو جزأين: جزء فطري يحمل الغرائز الموروثة التي تمد الشخصية بالطاقة، وجزء مكتسب، وهو ما يمثل العمليات العقلية المكبوتة التي تم منعها من الظهور، بينما الأنا هي شخصية المرء في أكثر حالاتها اعتدالًا بين "الهو" و"الأنا العليا"، حيث تقبل ببعض التصرفات من هذا وذاك، وتربطها بقيم المجتمع وقواعده، وبناء عليه تتصرف وتتفاعل، حيث من الممكن للأنا أن تقوم بإشباع بعض الغرائز التي تطلبها الهو ولكن في صورة متحضرة يتقبلها المجتمع ولا ترفضها الأنا العليا.

أما الأنا العليا كما وصفها فرويد فهي شخصية المرء في صورتها الأكثر تحفظًا وعقلانية، حيث لا تتحكم في أفعاله سوى القيم الأخلاقية والمجتمعية والمبادئ، مع التجنب المقصود لجميع الأفعال الشهوانية أو الغرائزية، فالأنا العليا تمثل الضمير إن أردنا الدقة، وهو ما يتكون في ذاكرة الطفل من والديه ومدرسته والمجتمع من معايير أخلاقية. فالأنا العليا مثالية وليست واقعية، تتجه نحو الكمال وليس اللذة؛ أي أنها تعارض الهو والأنا.

وإذا استطاع الأنا أن يوازن بين الهو والأنا العليا والواقع

لعاش الفرد متوافقًا مع ذاته، أما إذا تغلب الهو أو الأنا الأعلى على الشخصية يؤدي ذلك إلى اضطرابها. حيث يمكن وصف الهو بأنه الجانب البيولوجي للشخصية، والأنا بالجانب السيكولوجي للشخصية، والأنا العُليا بالجانب السسيولوجي للشخصية.

- يبدو كُل شيءٍ بها واقعي لدرجة مُجهدة.

- كيف تشعر؟

- بالرضا.

- فسر لي لماذا؟

- لأني واجهت كُل السيناريوهات التي كان من المُمكن أن تحدث ولكن ما حدث حقًا هو أفضلهم.

- كيف روضت طفلك الداخلي؟

- لم أروضه، تركته يصرخ ويبكي في غرفته بينما أكمل حياتي.

- مهلًا ولكن التجربة تحتم عليك ترويضه.

- رُبما حبسه في تلك الغرفة هو أفضل ما يُمكن أن يحدث له.

- كم كانت حياتك مُختلفة، كيف انقسمت إلى ثلاث؟

- لم تكن عادلة.. لقد أعطت أحدهم أكثر مما أعطت الآخر وتركت الأخير دون أي شيء.

- من لم يحصل على أي شيء يمثل الأنا العُليا وذلك لأنه لا يملك أي رغبات بل رغبته الوحيدة هو أن تُتحسن التصرف، ومن يأخذ أكثر هو الهو.. لأنه جشع لن يكتفي أبدًا أما من يحصل على القليل فهو الأنا، الذي يرضى بالمُتاح ولهذا السبب ها أنت تشعر بالرضا الآن.. لأنك بطريقةٍ ما قد وجدت التوازن بينهما.

- وماذا الآن؟

- لا شيء، ستشعر ببعض التخبطات القليلة؛ لأن عقلك قد أُجهد كثيرًا في خلق كُل هذه الحيوات الموازية وفي اختراع قصة لتقنعك أنك في مُعاناة وخطر حقيقي ويجب أن تنقذ نفسك، أخبرني ماذا كانت القصة؟

- كُنت أسافر عبر الأبعاد الكونية عبر الثقب الدودي، وكانت لديّ حيوات مُختلفة، أحدهم ظننتها أنني أريدها بشدة أو على الأقل كنت أريدها في الماضي.. كُنت مُشتتًا للغاية، حتى اختلطت كُل المفاهيم في عقلي حينها لم أعلم من أنا وماذا عليّ فعله؟!.. لكنني كنت أكتشف ذاتي كُلما تعمقت

في التجربة أو يُمكنك القول أنني كُلما تعمقت في الحيوات المُختلفة كلما أدركت أنني سأختار حياتي بكل تفاصيلها، حتى تلك التي كانت تثير سخطي.

- اعذر حماسي، لكنني لا أستطيع التوقف عن التساؤل.. كيف ترى حياتك الآن؟

- معجزة، أرى فيها كُل ما أستحق على الرغم من كل ما يُثير غضبي بها في أي عقدٍ من حياتي.

- لماذا؟

صمت شمس كثيرًا عاجزًا عن إخبار ماجد أنه سعى داخل عقله كثيرًا ليحصل على ما تمناه، علمًا أنه لم يكن بحاجته ولا حتى يُريده أو هكذا هُيئ له، هكذا ظن.. رُبما أن الإنسان لا يعلم ماذا يُريد حقًا في نهاية الأمر، إنه يسعى ويسعى لتحقيق شيء وحين يصل إليه يفقد شغفه به ويُريد أن يكمل البحث والتجربة.. ربما أن الغريزة هي ما تجعلك راغبًا في الحصول على المزيد دومًا، غريزة فطرة عشوائية لا يحكمها العقل ولا يُمكن ترويضها بالمنطق، إنها مثل أن تبكي لأنك لم تحصل على القمر وتتذمر للدرجة التي لا تجعلك تُدرك أن الله وضع مجرة كاملة بين ذراعيك لكنك تواصل البحث عن ذلك الحلم الساذج الضئيل الضائع لمُجرد أنك لم تحصل عليه، كيف يُمكنه أن يخبره أن الإنسان كائن

لن يرضى أبدًا وسيظل يبحث عن الناقص لديه، عوضًا عن الاستمتاع بما لديه، تذكر حين كان طفلًا وكان أبواه يشتريان له لعبة تُناسب سنه لكنه يواصل البكاء لأنه يُريد لعبة ساذجة مثل التي أعطوها لأخيه الصغير ويبكي أخوه في نفس الوقت؛ لأنه يُريد لعبة الكبار التي لا يُمكنه اللعب بها بعد، ولكن الصدمة الحقيقية حين يختبرك الله فيما تملك إذ ستبدأ في الشعور بالرضا حين تكون على شفا فقد ما تملك ستصرخ داعيًا الله أن يحفظ لك ما لم يكفِك من قبل وسترتعب من القدر ومن احتمالية الخسارة.. نظر شمس في تيه إلى ماجد وهو يقول:

- أشعر بالإجهاد، هل يُمكننا أن نُكمل النقاش لاحقًا.

- بالتأكيد، شكرًا على ثقتك وعلى أنك لم تخذلني وقررت تجربة الجهاز بنفسك.

- ماجد أنت أكثر تلاميذي عبقرية، سأثق بك دومًا بكل تأكيد ولكن حافظ على تلك النبتة الطيبة بداخلك، لا تنسى أن ذلك العلم من عند ربك وأنك مُجرد وسيلة لنقله.. لا تجعل الكِبر يمس قلبك..

رحل شمس بينما يغوص بذاكرته في تلك التجربة التي لم يعد منها كما ذهب إليها، تذكر إيما حُب طفولته وكيف سيطرت على ذكرياته، رغم اعتقاده بأنه قد نسي أحرف

اسمها حتى، وأخذ يتساءل كيف أنه لم يتخطَّ الرفض.. ففي كثير من الأحيان يسعى الإنسان للحصول على شيء ما فقط ليثبت مقدرته على ذلك وليس لرغبة به، وقد كانت إيما هي ذلك الشيء الذي لم يحصل عليه شمس فاستقر بداخله شعور أنه لم يكن جيدًا بما يكفي لتختاره؛ ولذلك اختارت سُليمان صديقه، ظل يقارن لأعوامٍ بينه وبين سليمان حتى إنه اتخذه عدوًّا خفيًّا له، رغم صداقتهم الظاهرية، وكان يحاول أن يكون أفضل منه في كُل ما تنافسا به، ولكن ذلك لم يغير من شعور سليمان وإيما؛ لأنها لم تختزْه لكونه الأفضل، بل إنها أحبته بعيوبه. تذكر أمه وأباه وأخاه وأسرته المفككة التي نضج ساخطًا عليهما؛ لأنه لم يرد أن ينفصل عن أحدهم، ذلك الطفل بداخله كان يريد أن يركض لغرفة والديه حين يحلم حلمًا سيئًا ليجدهم يحتضنانه سويًّا وينام بأمان، تذكر كيف جعلهم يعيشون وقتًا صعبًا زائدًا على صعوبة الانفصال حتى يرضخا له ويعودا لبعضهما البعض، ولكن ذلك لم يحدث على الرغم من خططه المُجهدة ليشعرهم بالذنب، وكان دومًا طفلًا ساخطًا؛ لأنه لم يحظَ بأسرة طبيعية، لكنه بعد تلك التجربة شعر بالحظ لأنه صار له أخٌ، وإن أباه كان معه قدر استطاعته وأمه مصدر الحنان لم تخرجه من ضلوعها أبدًا..

وصل لمنزله وترك سيارته وتحرك جريًا للداخل باحثًا

عنها، ظل ينادي اسمها وهو يبحث في غرف المنزل الكبير المُختلفة حتى وجدها في المطبخ، وحين دخل نظرت "غسق" الحقيقية هذه المرة له كانت ضاحكة بينما بادلها النظر مطولًا، ظل يتأمل خصلات شعرها وابتسامتها الحنونة، ثم وضع يده حولها وضمها في صمت:

- افتقدتك.

ضمته بحنان بالغ وهي تهمس له.

- أأنت بخير عزيزي؟

- أجل فقط افتقدتك، أشعر وكأنني ظللت أبحث عنكِ لأعوامٍ قبل أن أجدك في ذلك المطبخ.

- هل تريد أن تأكل؟

منعها شمس من التحرك وهو يقول:

- لا.. أريد أن أبقى هكذا فحسب.

تحركت غسق في حنان بينما تحتضنه حتى جلسا على الأريكة، ووضع رأسه على قدميها فظلت تتحسس شعره في سكينة وهو يسألها:

- هل ستُحبيني دومًا؟

انحنت لتقبل رأسه وهي تقول:

- سأحبك مهما انقلبت بك الأحوال ومهما صدر منك.. لن تجد من يفهمك أكثر مني.

قبل يديها وهو يجيب:

- أعلم ذلك.

- لن تخبرني ماذا بِك؟

- يُمكنك أن تقولي إنني حلمًا سيئًا.

- سيئ لأي درجة؟

- لم تكوني معي فيه، كُنتِ قريبة وبعيدة في الآن ذاته.

- آه هذا كابوس يا عزيزي، ولكن لا تقلق سأجدك دومًا وأحتل خزانتك مثلما أفعل.

- هل تعلمين أن هذا الأمر لا يغضبني حتى، ولا تغضبني خصلات شعرك المتساقطة في كُل مكان ولا حتى كيف ترمين ثيابك، لماذا ترمين ثيابك هكذا بالمناسبة؟

- ألم تخبرني للتو أنها لم تعد تغضبك.

- أجل، لكنني لم أسألك أبدًا لماذا تفعلين هذا؟

- لأنني أحبك عندما تستشيط غضبًا من ثيابي ثم تعيد

ترتيب الخزانة بأكملها، فأنت تعلم أن ترتيب الثياب هو أسوأ كوابيسي، ولهذا لم أجد سببًا يجعلك تفعلها بنفسك سوى إغضابك.

- لكنك لم تطلبي مني.

- بلى فعلت كثيرًا، لكنك كُنت ترفض بشدة وترى أن الثياب ليست من اختصاصاتك كرجل، وأن أبحاثك أحق بالوقت من ترتيب خزانة الملابس.

- آه، صحيح لقد قلت ذلك.

- نعم.

- يا لي من أحمق! لا تبتئسي، سأساعدك.

ضحكت غسق بشدة وهي تقول:

- يا إلهي! ما لك يا شمس؟!.. هل أنت شمس الذي أعرفه؟

تحرك شمس ليحتضنها هو يقول:

- أنا الرجل الذي تستحقينه.

ثم باغتهما الصغيران في فرح:

- وماذا عنا؟

ليحتضنهما شمس وغسق سويًا ثم يسألهما شمس:

- كيف كانت المدرسة؟

لتقول له الصغيرة بهمس:

- نحن في الإجازة الصيفية.

فنظر شمس لغسق بينما يقول بحماسة:

- هل يُمكن إذًا أن نذهب في رحلة سويًّا؟

صرخت غسق والأطفال وهم يركضون فرحًا، بينما يتأملهم شمس بابتسامة حنونة وهو يهمس بداخله:

ولو كانت كُل الاحتمالات جائزة.. هُنا هو المكان الذي سأختاره دومًا، إن اختيارات الله هي أفضل ما يُمكن أن يحدث لنا.

***

تمت

(1) فيلسوف وكاتب مسرحي روماني.

(2) شاعر متصوف.

(3) ممرات دودية تخيلية موجودة داخل الثقوب السوداء لكنها أسيرة النظرية الرياضية حتى الآن.

(4) منطقة وصفها الفيزيائيون بأنها تتميز بجاذبية قوية جدًا بحيث لا يمكن لأي شيء الإفلات منها.

(5) الدوبامين هو ناقل عصبي مُرتبط بالأحاسيس المُمتعة وجزء مهم من نظام المكافأة في الدماغ، والسيروتونين هو ما يساعد على تنظيم المزاج والنوم والشهية والهضم والذاكرة والتعلّم.

(6) عالم نبات، وعالم أرصاد جوية اسكتلندي.

(7) عالم اسكتلندي له الكثير من الاكتشافات والإنجازات أبرزها اكتشاف البنسلين المشتق من العفن.

(8) إلهَةُ الحب والجمال لدى الرومان واسمها في اليونانية الإلهَةُ أفروديت.

(9) طبيب نمساوي اختص بدراسة الطب العصبي ومفكر حر يعتبر مؤسس مدرسة التحليل النفسي وعلم النفس الحديث.

(10) هي ما تُمثل الضمير وفقًا لمنظور فرويد.

(11) شخصية المرء في أكثر حالاتها اعتدالاً بين الهو والأنا العليا

(12) الجزء المندفع في شخصية الفرد والذي يتعلق بالرغبات.